محمد إبراهيم الدسوقي

حياة الصحابة

للأطفال

دار الطلائع

اسم الكتاب: حياة الصحابة للأطفال
الدسوقي، محمد
حيات الصحابة للأطفال /محمد الدسوقي - ط١- القاهرة. دار الطلائع للنشر والتوزيع 2017
٩٦ ص؛ ٢٤سم
تدمك: ٨ ٨٢١ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - قصص الأطفال
٢ - الصحابة والتابعون
أ - العنوان ٨١٣,٢
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٦٧٥٣
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 277 - 821 - 8

تصميم الغلاف الفنان: إبراهيم محمد إبراهيم

● جميع الحقوق محفوظة للناشر ●

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

٣٢ شارع أحمد فخـــري
- مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٣٥٤٦٣٩٢ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٥٤٦٣٩٣ (٢٠٢ +)
E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

1

أبو هُرَيرَة الدَّوْسِيّ

أَلْزَمُ الصَّحَابةِ لرسولِ اللهِ ﷺ

وأَعْلَمُهُم بحديثِه

حياةُ أبى هريرةَ في كلماتٍ!

لَخّصَ «أبو هُريرةَ» حياتَه في كلماتٍ، فقال:

«نشأتُ يتيمًا!..

وهاجرتُ مِسْكينًا..

وكنتُ أجيرًا لِبُسْرةَ بنتِ غَزْوانَ بطعامِ بَيْتى..

أخدمُ القومَ إذا نزلوا..

وأحْدُو لَهُمْ إذا رَكِبُوا.. (أسوق لهم إِبِلَهم).

فزَوّجَنِيها اللهُ!

فالحمدُ لله الذى جعل الدينَ قِوامًا (عمادًا).

وَصيَّرَ أبا هُرَيْرَة إمامًا».

•• كيف صار الخادمُ إمامًا؟

لكن، كيف صار الخادمُ إمامًا للناس؟!

وكيف أصبح في سنوات معدوداتٍ أحفظَ مَن روى الحديثَ في زمانه؟

إنه يعترفُ بذلك قائلا:

«لا أعرفُ أحدًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أحفظَ لحديثه مِنِّى!

إلَّا ما كان من «**عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ**» فإنه كان يكتبُ وكان أبو هريرةَ لا يكتبُ!».

ولعلك تعجبُ إذا علمتَ أنه لم يكنْ يكتُبُ! ومع ذلك أصبح إِمامًا!!

لقد تفرغَ لِلْعِلْم، وأعْطَاهُ كُلَّه.. لم يكنْ يَشغَلُه شيءٌ عن حديثِ رسولِ الله ﷺ.. وكأنه «جهازُ تَسجيل»!

كلُّ كلمةٍ تخرجُ من فمِ الرسولِ ﷺ كانت حِكْمةً..

سَجَّلَها قلبُهُ ووَعَاها..

وكل حديثٍ كان كنزًا يحرصُ عليه، ويحفظُه ولا ينساه..

دعا الله ذاتَ يوم، فقال:

«اللهمَّ إنى أسألُكَ عِلْمًا لا يُنْسَى!

فقال الرسولُ ﷺ: «آمين» [أخرجه النَّسائي].

وببركةِ دُعاءِ النبى ﷺ حفظ لنا عنه «خمسة آلافِ حديثٍ وثلاثَ مائة، وأربعةً وسبعين حديثًا!». ورواها عن النبى ﷺ كما سمعها مع أنه كان لا يكتب!

وبقيت هذه «**الثروةُ العظيمة**» بين أيدى الأجيال تُرْشِدُهم وتَهديهم.. حتى لا يَضِلُّوا..

فلا تكادُ تفتح كتابًا من كتُب الفِقه، أو السنة، أو الأدبِ إلا وتجدُ فيه «أبا هريرة» يَروى ما سَمِعَه أو رآه عن النبى ﷺ، إنها عنايةُ اللهِ، وبركةُ دُعاءِ النبى ﷺ.

والعجيبُ الغريبُ أنه لم يكن من أهلِ مكةَ.. ولا مِن أهلِ المدينة..

لم يكن من **المهاجرين ولا من الأنصار!**

فمن أين جاء؟ وما سِرُّ هذِه التسميةِ التى لازَمَتْه؟

كانت له في طفولته «هِرّةٌ صغيرةٌ»، فكان رِفاقُه ينادونه:

«أبا هُرَيْرَةَ».

أما اسمهُ فكان «عبدَ شَمس»، فسَمّاه الرسولُ ﷺ «**عبدَ الرحمن**» حين وفد عليه من «تِهامة» بأرضِ الحجاز، حيث كان قومُه «دَوْس» ينزلون.

•• قصة إسلامه:

كان «**الطُّفَيْلُ بنُ عَمْروٍ الدَّوْسِيِّ**» سيدَ قبيلته دَوْسٍ - قد سمع عن النبى ﷺ فَلقِيَه، وأسلمَ على يديه بمكة.

وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام فَأَبْطَئُوا ولم يَسْتَجيبُوا على الفورِ إلا «أبا هُرَيرةَ» فإنه كان أسرعَهم إسَلامًا!

وعاد الطفيلُ إلى مكةَ.. إلى رسول الله ﷺ ومعه أبو هريرة!

فدعا النبيُّ ﷺ ربَّه أن يهدىَ دَوْسا!

ودعا لهما فعادا من حيث أَتَيَا لِيُحاولا من جَديد مع قومِهما..

وانتظرا حتى هاجرَ الرسولُ ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ..

وطال الانتظارُ!

خاض المسلمون غزوةَ «**بَدْرٍ**».. ومن بعدها «**أُحد**».. و «**الخندق**» وإذا بالطُّفيلِ بنِ عَمْروٍ قادمٌ، ومعه ثمانون بيتا من «**دوس**» أسلموا وحَسُن إسلامهم، وفيهم أبو هُريرةَ أول مُسَارِعٍ إلى الإسلام يوم أن دعاه الطفيلُ بنُ عمرو..

وقَدْ جاء في هذه المَرّةِ ليكونَ إلى جانبِ الرسولِ ﷺ!!

إن الأيامَ تمضى.. والسّنواتِ تمرّ دون أن يَحْظَى بالقرب من الرسول ﷺ!

فهل آن الأوان؟!

•• الخادمُ الأمين!

بعدَ سبعِ سنواتٍ من هجرةِ الرسولِ ﷺ من «**مكةَ المُكَرَّمة**» إلى «**المدينةِ المُنَوَّرة**» جاء الفتى الدّوْسِىّ «**أبو هريرة**» ليكون في خدمةِ الرسولِ ﷺ وصُحبتِه! وليُعَوِّض ما فاته!

لم يَكُنْ له زوجةٌ، ولا وَلَدٌ، فكان المسجدُ مَحَلَّ إقامته!

وكان الرسولُ ﷺ إمامَه ومُعَلّمَه، ورَاعِيَه.

وَوَضع اللهُ حُبّه في قلوبِ الصحابة!

فلم يكنْ يراهُ أحدٌ إلا أحبّه!

فما قصة هذه المحبة التى كان يَشْعُر بها كلُّ من يراه؟

يروى الإمامُ أحمدُ عن أبى هريرةَ قولَه:

أمَا -والله- ما خلق الله مؤمنًا يسمع بى ولا يرانى إلَّا أحبَّنى! إن أمى كانت مُشركةً، وإنى كنتُ أدْعُوها إلى الإسلام، فكانت تَأْبَى علىّ!

فدعوتُها يومًا فأسمَعَتْنى في رسولِ الله ﷺ ما أكرَهُ!

فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكى!

فذكرتُ له ما حدث!

فقال: «**اللهمّ اهدِ أُمَّ أبى هريرةَ!!**»

فخرجتُ عَدْوًا، فإذا بالباب مُجَافٌ (مغلق).

وسمعت خضخضة الماء (حركته).

ثم فتحتِ البابَ فقالت:

أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ!

وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله!

فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكى من الفرح!

فقلت: يارسولَ الله؛ ادعُ اللهَ أن يُحَبِّبَنى وأُمِّى إلى المؤمنين، فدعا لِى!!

فما من مسلم كان يراه إلا وأحَبَّه!

وما ذُكِرَ «أبو هريرة» في عصر من العصور بعد عصر صدر الإسلام وبنى أُمية حتى قال الناس: **رضى الله عنه!**

•• الثروة التى جمعها من حديث رسول الله ﷺ:

ويتساءل الكثيرون: كيف اجتمعت لأَبى هريرةَ هذه الثروةُ العظيمةُ من حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ولم يكن من السابقينَ الأَوّلين، ولم يمكُثْ معَ الرسولِ ﷺ إلا سنواتٍ قليلة؟!

إنه يقصُّ علينا قصته، فيقول:

قدِمتُ ورسولُ الله ﷺ بخَيْبَرَ، وأنا يومئذٍ قد زِدْتُ على الثلاثينَ، فأقمتُ معه حتى مات!

أدورُ معه في بيوتِ نسائِه، وأخدُمه.

وأغزو معه وأَحُجّ!!

فكنتُ أعلمَ الناسِ بحديثِه.

وقَدْ - والله- سبقتنى قومٌ بصُحْبَتِه، فكانوا يعرفونَ لُزُومِى له، فيسألوننى عن حَديثِهِ؛ منهم:

عُمَرُ، وعثمانُ، وعلىٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ.

ولا - والله- لا يَخْفى علىّ كلُّ حديثٍ كان بالمدينة، وكل من كانت له من رسولِ الله ﷺ منزلة.

ومن أَخْرَجَه من المدينةِ أن يُسَاكِنَه.

ولهذا كان يقول:

لا أعرف أحدًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ أحفظَ لحديثِهِ منِّى! ولا عجبَ!

فقد كان الصحابةُ أهلَ بُيوتاتٍ[1]، وغَنَمٍ، وعَمَلٍ!

كما يقول طليحةُ بن عبيد الله:

فكُنَّا نأتى الرسولَ ﷺ طَرَفى[2] النهار.

أما أبو هريرةَ فكان مِسْكينا ضَيْفًا على الرسول ﷺ.

يَدُه مع يَدِه..

فلا نشكُّ أنه سَمعَ ما لَم نَسْمَع..

(1) بيوتات: البيت جمعه أبيات وبيوت، وجمعهما بيوتات، ويغلب إطلاقه على بيوت الشرف.

(2) طرفى النهار: أوله وآخره.

ولا تجد أحدًا فيه خير يقولُ على رسولِ الله ﷺ ما لَم يَقُلْ!

وبناءً على هذا..

كان الصحابة يسألونَه فيُجيبُهم!

ويَستَفْتُونَه[1] فيفتيهم!

«لقد احْتَجَّ المسلمون قديما وحديثًا بحديثه لحفظه وجلالته وإتقانه» كما يقول الإمام الذهبى:

لقد سأل الله عِلْمًا لا يُنْسَى.

ودعا له الرسولُ ﷺ، فاستجابَ اللهُ لدعائِه!

لقد اتّقى اللهَ فعلّمه اللهُ كما قال في كتابه العزيز:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

إنه يعترف بنعمةِ اللهِ عليه.. ولا يُقصِّر في عبادته!

إنه لا ينسى أبدا كيف كان!، وكيف أصبح ؟!

•• عبادته:

كان يسبح الله كثيرا ويقول:

أُسَبِّحُ بقدرِ ذَنْبى!

ويقول أبو عثمان النهدى:

تَضَيَّفْت[2] أبا هريرةَ سبْعًا، فكان هو وامرأتُه، وخادمتُه يُقَسِّمون الليلَ أثلاثا:

يُصلى هذا، ثم يُوقظ هذا..

قلت: يا أبا هريرة؛ كيف تصوم؟

(1) يسألونه عن حكم مسألة من المسائل، ويبين لهم الحلال والحرام.

(2) تضيفه: دعاه إلى أن ينزل ضيفا عليه واستضافه.

قال: أصومُ من أولِ كلِّ شهرٍ ثلاثا.

• وكانت لأبى هريرة صيحتان:

واحدةٌ أولَ النهار، والثانية آخرَه!

يقول: «ذهب الليل، وجاء النهار، وعُرِضَ آلُ فرعونَ على النار[1]».

فلا يسمعه أحد إلا استعاذ بالله من النار!

• وكثيرا ما حَذَّرَ مما حَذَّرَ الرسولُ ﷺ منه، حيث قال:

«ويلٌ[2] للعربِ من شرٍّ قد اقتربَ..

فِتنٌ[3] كقِطَعِ الليلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمنا، ويُمْسِى كافرا..

يبيعُ دينَه بعرضٍ[4] من الدنيا قليل..

المتمسكُ بدينهِ كالقابضِ على خَبَطِ الشوكِ[5]، أو جَمْرِ الغَضى[6]».

•• وفاء:

وظل أبو هريرة على عهدهِ ووعدِه بعدَ موتِ رسولِ الله ﷺ مع «**الخلفاءِ الأربعةِ**» ودخل عليه مَرْوَانُ في مرضِ موته فقال:

شفاك الله!

فقال: «**اللهمَّ إنى أُحِبُّ لقاءك فأحْبِبْ لقائى**» ومات سنة سبع وخمسين!

• وما زالت كلمات الحمدِ والشكرِ يتردَّدُ صداها في آذاننا بعد موته:

• الحمدُ لله الذي هدى أبا هريرةَ للإسلام!

---

(1) كما جاء في الآية: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

(2) ويل: عذاب.

(3) فتن: اضطراب، وبلبلة الأفكار.

(4) عرض من الدنيا: متاع الدنيا قل أو كثر.

(5) خبط الشوك: ما يسقط من الشجر من ورق وشوك عندما يخبط ليكون علفا للجمال.

(6) الغضى: شجر ناره قوية وفى فحمه صلابة.

• الحمد لله الذي عَلّمَ أبا هريرةَ القرآن!

• الحمدُ لله الذى مَنّ على أبى هريرةَ بصُحبةِ محمد ﷺ.

• ومازالَ مَوْقِفُه من أُمِّه وبِرُّه بها يقول لكل منا: هكذا تكون معاملةُ الأُمّ!

لقد كان يقفُ على «بابِ حُجْرَتها» عند خُروجِه وعند عودَتِه!!

فيقول: السلامُ عليكِ يا أُمّتَاه ورحمةُ الله وبركاتهُ!

فتقول: وعليك السلام يا بُنَيَّ ورحمةُ الله!

فيقول: رَحِمَكِ الله كما رَبَّيْتنى صغيرًا..

فتقول: ورحِمَك الله كما بَرَرْتنِى كبيرًا.

• وكان حريصا على أن يكون الأبناءُ بررةً بآبائهم..

لقى رجلين: أحَدهما أكبر من الآخر يمشيان معا، فقال لأصغرِهما:

ما علاقتُك بهذا الرَّجُلِ؟

قال: هو أبى!

فقال له: لا تُسَمّه باسمِه.. ولا تمشِ أَمامَه.. ولا تَجلِسْ قبلَه.. إنه الأدب!

• وأخطأت جاريتُه يوما خطأً يستحق التأديبَ.. فلما رفع سَوْطَهُ أعادَهُ ثانية وقال:

لولا خوفُ العقابِ لأُوجِعَنَّك، ولكنْ سأبيعُك إلى من يُوَفّينِى أجرَك!

اذهبى فأنت حرةٌ لوَجْهِ اللهِ تعالى!

• وكان يقول:

لولا آية في كتاب الله ما حدثتُكم بشيء؛ يقول الله فيها:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: 159]

رحم اللهُ أبا هريرةَ، ورضى عنه، وجزاه خيرَ الجزاء على ما أخبرنا به من حديثِ خاتمِ الأنبياء.

2

ثابتُ بنُ قيْس

نَموذجُ الإيمانِ الصّادقِ في السِّلمِ والحربِ!

•• ثابتٌ ومبعوثُ النبيِّ ﷺ إلى يثرب: مُصْعَبُ بنُ عُمَير

ذاتَ يوم بلغ «**ثابتَ بنَ قيس**» أن نبيَّ الإسلام بمكة بعث نائبا عنه إلى «**يَثْرِبَ**» ليُعلِّمَ من أسلمَ من أهلهَا القرآنَ ويُفَقِّهَهُم في الدين.

وكان «**ثابتٌ**» أديبًا وخطيبا بليغًا يهزّ السامعين بكلامه!

فأخذ يفكرُ في أمرِ هذا الداعية المَكِّيِّ «**مُصعبِ بنِ عُمَير**» وتمنى أن يلقاه، ليستمعَ إليه، ويحكمَ له أو عَليْه!

إنه يُقيم عند «**أسعدَ بنِ زُرارة**» من بنى النجار أخوال ذلك النبى!

فلماذا لا يذهبُ إليه، ويجلسُ بين يديه، ويفكرُ فيما يتلوه عليه من آيات بيناتٍ؟!

وأسرع «ثابت» إلى لقاء «**مُصْعَبٍ**» فأعجبه ما يتحَلَّى به من أدبٍ رفيع..

وأخذ «**مصعب**» يرتلُ على مسامع قيس آيات من القرآن الكريم ملكت عليه سمعَه وقلبَه، فإذا هو يُعلن إسْلامَهُ وينطقُ بالشهادتين:

أشهدُ أنْ لَا إلهَ إلا اللهُ..

وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله..

وإذا بأمه هى الأخرى تُعلِن إسلامَها.. ولم تكن كأم «**مصعب بن عمير**» التى عذبته حين أسلم: **ولا أمّ** «**طلحة بن عبيد الله!**» التى عذبته وآذته!

وتعلن زَوْجُهُ إسلامها! وتشتاق لرؤية الرسول ﷺ.

•• انتظار لقاء الحبيب!

وأخذت هذه «الأسرة المسلمة» تَعُدُّ الأيامَ والليالىَ في انتظارِ قُدوم الرسولِ ﷺ إلى مدينتهم «**يَثربَ**».

وعندما هاجرَ النبيُّ ﷺ من «**مكة المكرمة**» إلى «**المدينة المنورة**» كان «**ثابتُ بنُ قيس**» في شرفِ استقباله على رأسِ مَن أسلموا من الأَوْسِ والخَزْرَجِ.

فلما قدم النبيُّ ﷺ أسرعَ ثابتٌ - وهو الخطيبُ البليغُ - إلى لقائِه، وأعلن باسم مسلمى «**يثربَ**» استعدادَهم لحمايتِه، والدفاعِ عنه من كل ما يَحمون منه أنفسَهم وأولادهم!

وخطب خطبة بليغة، وكان جهيرَ الصوتِ، قال فيها:

نَمْنَعُك (نحميك) مما نمنع منه أنفسَنا وأولادَنا!

وسأَلَ الرسولَ ﷺ قائلا: فما لنا ؟

فقال الرسول ﷺ: «الجَنّةُ».

قالوا: رَضينا[1].

وعاش «ثابت بن قيس» سعيدا بلقاءِ الرسولِ ﷺ ونزولِه عندهم.. إن «يثرب» سيُصبح اسمُها «المدينةَ المنورة»، ينزل القرآن في مدينتهم!

••الذين يرفعون أصواتهم فوق صوت النبى!

ونزلَ القرآن الكريم يُعَلّمهم كيف تكون معاملة الرسول، ويقول لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2].

فلما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس:

أنا جهيرُ الصوتِ.. وأنا كنت أرفعُ صوتى فوقَ صوت النبى وأنا أخطب.. فأنا من أهل النار!!

فقَعَدَ في بيته!

(1) أخرجه الحاكم.

فتَفَقّدَهُ الرسولُ ﷺ (بحث عنه فلم يجده)، فذكر ما أقعده!

فقال: «**بل هو من أهل الجنة**»[1].

وكيف لا وهو الذى لم يكن خطيبا فحسب، بل كان فارسا من فُرسانِ المسلمين؟!

وإلى جانب هذا وذلك كان قمةً في الكرَم والإيثار[2].

•• ثابت بن قيس وضيفُ رسول الله ﷺ

رُوِىَ أن رجلًا أتى رسولَ الله ﷺ فقال:

يارسولَ الله؛ أصابنى الجَهدُ (المشقة).

فأرسلَ النبىُّ ﷺ إلى نسائِه، فلم يجدْ عندهُنّ شيئا!

فقال:

«**ألَا رجلٌ يُضيفُه هذه الليلةَ - رحمه الله؟**».

فقال ثابت بن قيس:

أنا يارسولَ الله!

وذهب لامرأتِه فقال:

ضيفُ رسولِ الله؛ لا تدّخِرِينَه شيئا (قدِّمى له كلَّ ما عندنا).

فقالت: والله ما عِندى إلا قُوتُ الصِّبْية (الأولاد).

قال ثابت: فإذا أراد الصِّبيةُ العَشاء، فنوِّميهم، وتعالَىْ فأَطْفِئى السّراج، ونَطْوِى بُطُوننا الليلة (ننام بلا عشاء) ففعلت!

(1) أسباب النزول للسيوطى.

(2) الإيثار: تفضيل غيرك على نفسك.

وأنزل الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9].

والخَصاصة: الجوع، فهم مع جُوعهم فضّلوا الضيفَ وآثروه على أنفسهم!

ثم غدا على رسولِ الله ﷺ فقال له:

«**لقد عَجِبَ الله -أو- ضَحِك من فلان وفلانة!**»[1].

هذا هو «ثابت بن قيس»..

- ففى مجال «**الإيثار**» يتراءى لنا ثابت بن قيس..
- إنه صحابىٌّ مُتعدد المواهب!
- وفى مجال «**الشجاعة**» يتراءى لنا ثابت بن قيس..
- وفى مجال «**الفَصاحة والخَطابةِ والبَلاغة والبَيان**» يتراءى لنا ثابت بن قيس.

•• ثابت بن قيس وحروب الردة!

كان سَبّاقا، صادقَ الإيمان في حياةِ الرسول ﷺ، وبعد أن لَقِيَ الرسول ﷺ ربَّه!

ففى عهد أبى بكر خرج الفارس «ثابتُ بنُ قيس»

لمحاربة الذين ارتَدُّوا عن الإسلام!

كانت رايةُ «**المهاجرين**» مع «**سالم مولى أبى حُذيفة**».

وكانت راية «**الأنصار**» مع «**ثابت بن قيس**».

وحاملُ الراية يُمَثّل الجيش في قوتهِ وثباتِه، وإيمانه!

وياويلَ الجيش الذى تسقطُ رايتُه!

(1) أسباب النزول للسيوطى.

ولقد تولّى «خالد بن الوليد» قيادةَ الجيشِ الإسْلَامِيّ! الذى خرج لمحاربة المرتدين عن دينهم!

إنه في غزوةِ أُحُد كان قائد المشركين، واليوم بعد إسلامه يصبح قائدَ جيش المسلمين!

إن جيش المرتدين على رأسه «**مُسَيْلمة الكذاب**» الذى ادعى النبوة وانضم إليه الكثيرون، وسوف يكون اللقاءُ على «**أرضِ اليمامةِ**»، لقد تجمع هناك حوالى «**أربعين ألفا**» من أنصارِ مُسَيْلمة.

لقد قال لهم: إنه بُعث إليهم كما بُعث محمدٌ إلى قريش.

إنهم مثلُ قريشٍ.. وقريشٌ لا تزيد عنهم، ولا سلطانَ لها عليهم بعد اليوم!

لهم نبيٌّ ورسولٌ، كما لقريش نَبِيٌّ ورسولٌ!

وهم على استعداد تام للدفاع عن نبيهم!

تُرى ماذا يستطيعُ خالدٌ ورجالُه أن يفعلوا مع هذا الجيش الكبير؟!

لقد وقف «**الجيشان**» على أرضِ اليمامةِ ينتظران الصِّدامَ!

كل منهما يعرفُ أن مَصيرَه مُعَلّقٌ بمصير ذلك اليوم!

إن «**يوم اليمامةِ**» من الأيامِ الحاسمةِ في تاريخ الإسلام وفى تاريخ العرب!

والتقى الجيشان!!

التقى الجيشان في معركة ضاريةٍ شرسةٍ! هى «أم المعارك» بحق! ولكن.. وآهِ مِمّا بعد لكن!!

لكنّ المسلمين انكشفوا في «**الجولة الأولى!**» وتقهقروا!!

حتى دخل «بنو حنيفةَ» أنصارُ «**مُسيلمةَ الكذابِ**» خيمةَ خالدِ بنِ الوليد، وهمُّوا بقتلِ زوجتِه «أمِّ تميم»!

فلما رأى «**ثابتُ بن قيس**» تَقَهْقُرَ المسلمين صاح فيهم:

ما هكذا كنا نُقاتلُ معَ رسولِ الله ﷺ!!

ثم قال:

اللَّهُمَّ إنى أبْرا إليك مما جاء به هؤلاء (يريد المرتدين) ومما صنع هؤلا (يريد المسلمين).

وحركت صيحتُه أبطالَ المسلمين!

فأخذوا يتصايحون من كل جانب، واستعادوا همتَهم ونشاطَهم، وسرت فيهم الروحُ القتاليةُ.. روحُ الإيمان والنصر.. روحُ التضحية والفداء!

وتواصَوْا، وتعاهدوا أن يكونوا أنصارَ الله حتى ينصرَهم اللهُ، ويُثبتَ أقدامَهم!

كما قال لهم رَبُّهم في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: 7].

أمّا «**ثابت بن قيس**»، فقد لَبِسَ ثَوبَيْنِ أبْيَضَيْنِ وقال: خَلّوا بيننا وبينهم ساعة!

واندفع إلى الميدان ثابت الجَنان (القلب) لا يهابُ إلا الله!

وتطايرت حولَه رُءُوسٌ وهُوَ يقاتلُ في سبيل رفع رايةِ الإسلام!

نعم، ظل يُقاتل حتى نالَ الشهادةَ التى كانت مُنْتَهى أَمَلِه!

لقد استطاع مع مجموعةٍ من الصحابة الكرام أن يفتحوا ثغرةً في صفوفِ العدُوّ مكّنت فرسانَ المسلمين أن ينفُذوا إلى قلبِ الأعداء وينتصروا عليهم!

••نِعمَ الرجلُ ونِعْمَ القُدْوَةُ!

ذات يوم أثبتَ ثابتُ بنُ قيْس أنه مسلم من الطراز الأول:

فقال النبيُّ ﷺ: «نِعمَ الرجلُ ثابتُ بنُ قَيْس» (أخرجه الترمذى).

وكان ثابتٌ – كما مدحه النبى ﷺ – نعم الرجلُ.. كان نعم القدوةُ لغيره من الصحابة..

وكان نعم القدوةُ لأبنائه الثلاثةِ:

محمد، ويَحيى، وعبد الله!

لقد ربّاهم فأحسن تربيتَهم..

رباهم على حُبِّ الله ورسولهِ، والجهادِ فى سبيل رفع رايةِ الإسلام، حتى تكون كلمةُ الله هى العُليا..

وكلمة الذين كفروا السفلى..

فقاتلوا .. وقُتلوا.. ونالوا الشهادةَ كما نالها أبوهم!

حقا، لقد كان ثابتُ بنُ قيسٍ مِمّن صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه..

فضرب أروعَ الأمثلةِ!

وكان نِعمَ القدوةُ!

لقد ظلت كلماتهُ في الفخر بالرسولِ والدين الجديد تُدَوّى في الآذان حتى الآن.

يوم أن قدِمَ وفدُ تميم على رسول الله ﷺ وافتخر خطيبُهم بأمورٍ، فقال النبىُّ ﷺ لثابت بن قيس:

قم فأجب خطيبهم!

ويقول المؤرخ ابن هشام[1] :

«فقام فحمدَ الله وأبلغ (قال كلاما بليغا). وسُرّ رسولُ الله ﷺ والمسلمون بموقفه»

لقد كان ثابت بن قيس رجلا.. والرجال قليل!

(1) (2/ 562).

3

أبو دُجَانة الأنصَارىّ

فارسُ الخَزْرَجِ، وصَاحبُ
العِصَابة الحَمْراء!

الفوز العظيم!

رَحِمَ اللهُ الأنصارَ الذين نصروا النبيَّ ﷺ وأَيَّدوه ووقفوا إلى جانبه، وسبَقُوا إلى الإسلام!

وفتحوا بيوتَهم وقُلوبَهم للمهاجرين فعاشوا إخوةً مُتَحابِّين!

رضيَ اللهُ عنهم، ورَضُوا عنه.. وأعدّ لهم جناتٍ تجرى من تحتِها الأنهارُ، كما أخبرنا ربُّنا بقوله:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]

فارسُ الأنصار

كان سِمَاكُ بنُ خَرَشَة (أبو دُجانة) فارسًا من فُرسان «الخَزْرَج» الذين أَوَوْا ونَصَرُوا... وسبقوا إلى الإسلام!

حياتُه كُلُّها كِفاحٌ!

وعمرُه كلُّه تضحيةٌ وفِداء! حتى نال الشهادةَ «يوم اليمامة!».

كان فارسًا من فُرسان المسلمين المعدودين!

سجّل التاريخُ قصة كفاحِه بأحرُف من نُورٍ..

يوم «أُحُد» أعطاه الرسول ﷺ سيفَه!

وحمَى الرسولَ ﷺ بجسمه يوم أن وجَّه الأعداءُ نبالَهم إليه..

وعبَّر له عن أروعِ المشاعرِ الإيمانيةِ وأصدقِها بقوله:

«نفسى دُونَ نفسِك[1]، وعَينى دونَ عينك، والسلامُ عليكَ غيرَ مُوَدَّع،»
فمن هذا الفارس الذى كان له شأنهُ في معارك الإسلام مَعَ الكُفَّارِ..
والمرتَدِّين؟

قبل الإسلام.. كانت المدينةُ كلُّها تعترفُ له بالفُروسِيّة وتشهدُ له بالسَّبْق!
وتضعُه في المقدمة! وازدادت منزلتهُ في الإسلام!

وكما كانت (**مكةُ**) تعترفُ بخالدِ بن الوليد فارسًا لها..

كانت (**المدينةُ**) تشهدُ لأبى دُجَانَةَ!

كانت فيه «**خُيَلَاء**»[2] لا تظهرُ إلا حين يلْتقى مع الأعداء، ويواجِهُهم غيرَ عابئٍ بهم مهما كانوا..

كانت له «**عصابةٌ حمراءُ**» يَلُفُّ بها رأسَه، ويختالُ بين صُفوف المقاتلين
مُنَاديًا أعداءَه قائلا: من يُبَارِزُنى؟!

وإذا هو يُحاورُ، ويُداورُ، ثم ينقضُّ على خَصمِه فيَقْضى عليه!

فإذا انتهت المعاركُ وارتفعت أعلامُ السَّلامِ كان أبو دُجانةَ في قِمَّةِ التواضع!

عهدٌ ووَعدٌ

عندما علم أبو دُجانةَ بالدين الجديد وجاءته البُشْرَى أسرعَ إلى النبىِّ ﷺ
يُبايعُهُ ويُعلنُ إسلامَه! ويُعاهدُه على السمعِ والطاعةِ..

ويَحميه مِمّا يَحْمِى منه نفسَه وولَدَه..

وبعد أن كان «**فارسَ الخزرج**» أصبح «**فارسَ الإسلام!**».

(1) دون نفسك: قبلها.. أحميها وأفتديها بها.

(2) إعجاب بقوته وفروسيته.

وفرحَ المسلمون كثيرًا بوجودِه على رأسِهم في معاركِهم مع الكفرِ والطغيان!

عصابة الموت!

لقد كان «**أبو دُجانةَ**» يتحرقُ شوقًا إلى ذلك اليوم الذى يُواجِهُ فيه أعداءَ اللهِ بإيمانٍ صادقٍ وحُبٍّ لله ورسولِه!

وعندما دعا الرسولُ ﷺ أصحابَه لملاقاةِ أبى سفيانَ زعيم مكة! كان أبو دُجَانةَ على رأسِ المُلَبِّين، وفى مقدمة المسارعين.

وعند «بدر» أولِ معاركِ الإسلام فعل «أبو دُجانةَ» الأعاجيبَ!

لقد أخذ يختالُ على فرَسِه.. يَشُقَ الصفوفَ.. ويُطيرُ الرُّءوسَ.. ويَبُثّ الرُّعْبَ والفزَع فى النفوس حتى تحقق النصر!

وعاد كفارُ مكةَ بزعامة أبى سفيانَ خائبينَ مَذعورينَ؛ يتساءلون عن صاحبِ العصابةِ الحمراءِ، ذلك الفارسُ الذى لا عَهَد لهم بمثلِه!

سيفُ الرسول ﷺ

وعند جبلِ أُحُد كان اللقاءُ الثاني بين الكُفرِ والإيمانِ!

وقبلَ المواجهةِ أخذ الرسولُ ﷺ يستعرض قُواتِه، ويبعثُ في نفوسهم الثِّقةَ والإيمانَ بنصرِ الله ثم رفع سيفَه، وقال:

«مَن يأخذُ هذا السَّيفَ بحَقِّه[1]؟!».

ولم يبق فتًى من فِتْيَةِ الإسلام إلا وقال:

أنا يا رسولَ اللهِ؛ لينالَ هذا الشرفَ العظيم!

(1) أخرجه مسلم.

ووقف أبو دجانةَ لِيقولَ للرسول ﷺ:

وما حَقُّهُ يارسولَ الله؟!

ويقولُ الرسولُ ﷺ: «**حَقُّهُ أن تضربَ به في العَدُوِّ حتى يَنْحَنِيَ!**

حَقُّهُ أن لا تقتلَ به مُسْلِمًا، ولا تَفِرَّ من كافر».

وهنا أسرع أبو دُجَانةَ وقال: أنا آخذُه يارسولَ اللهِ بحقِّه!

وكانت سعادتُه عظيمةً بما نالَه من ثقةِ الرسول ﷺ..

لقد فاز بما لم يَفُزْ بِه الآخرون!

ولفّ أبو دُجانة على رأسِه «**عصابةَ الموت**» تلك العصابةَ الحمراءَ! ويأخذ السيفَ ويتَبَخْتَرُ بين الصَّفَّين!

ويكاد حِصانُه الأصيلُ يُشاركهُ فرحتَه!

ولما التقى الجيشان.. جيشُ الكفرِ.. وجيشُ الإيمان.. كانت عينُ التاريخ ترصدُ أبا دُجَانَةَ وتُلاحقُه..

إنه يصولُ ويجولُ.. وينتقلُ بين تلك الأمواجِ العارِمَةِ.. وبيده سيفُ الرسولِ ﷺ..

لا تكاد يدُه تعلو حتى تهبطَ؛ وهى تحملُ الموتَ إلى جبابرة قريشٍ الذين عذبُوا المسلمين حين بُعث النبيُّ ﷺ في مكة!

ويحارُ الكفارُ في أمرِه فُينشِدُهم قولَه:

أنَـا الـذى عاهدَنى خَليلى ونحنُ بالسَّفْحِ لدى النخيلِ

أَلَّا أقـومَ الدَّهرَ في الكُبولِ أضربُ بسيفِ الله والرسول[1]

والكافرون يفرون من حوله كأنهم حُمُر مُسْتَنْفِرَة فَرّت من قَسْوَرة[2]!

(1) الكُبول: جمع كبل وهو القيد. وسفح الجبل: أسفله.

(2) القسورة: الأسد.

إن معه سيفَ اللهِ والرسول..

وقد ظل يضرب به حتى انحنى.. ولم يبق بجسده موضع إلا وفيه جراحٌ في سبيل الله.. وفاءً بعهد الرسول ﷺ. وهكذا يكونُ المؤمنُ!

أخلاق الفرسان

وبينما كان أبو دجانةَ يُلاحِقُ قريشًا وفُرسانها إذا هو بفارس يُقبل عليه.. فهجم أبو دُجانةَ عليه.. وإذا الفارسُ يفر من أمامِه ويَصْرُخُ ويُوَلْوِل!

ولم يكن هذا الفارس إلا امرأةً من نساءِ قُريش جاءت تثأرُ لقتلاها في بدر!

ويتركُها أبو دُجانة، ويُولّي وجهَه عَنها حينَ انكشَفَتْ!

ويسأَلُه سائل: لم تركتها؟ فيقول:

حاشا لسيف الرسول ﷺ أن أضربَ به امرأة!

إنها أخلاق الفُرْسَان!

وتلك هى آدابُ الإسلام!

لقد قام أبو دُجَانَة بواجبِه خيرَ قيام!

ورجحت كِفَّةُ المسلمين أولَ النهارِ..

وتراءت لهم بشائرُ النصر!

لولا أن الرُّماة تركوا مواقعهم ظنًّا منهم أن المعركةَ قد انتهت..

وأسرعوا إلى اقتسام الغنائم التى خلّفها الكفارُ وراءهم!!

وهنا أسرع خالد بن الوليد وفرسانُ قريش وأحاطوا بالمسلمين من الخلف!

وكانت الكارثةُ!.. لقد خالف الرُّماةُ أمرَ الرسولِ ﷺ فانتصر عليهم عدوُّهم!

ويصف ابن إسحاقَ ما حدث بعدما ترك الرُّماة مواقعَهم فيقول:

«انكشف المسلمون فأصاب فيهم العدوُّ..

وكان يومَ (بلاءٍ[1] وتَمحيص)..

أكرمَ اللهُ مَنْ أكرمَ من المسلمين بالشهادة!

حتى (خَلَص) العدوُّ إلى رسول الله ﷺ فرمَى رسولَ الله ﷺ بالحجارة حتى وقع!

فأصيبت (رَباعيتُه)، و(شُجّ) في وجهِه، و (كُلِمت) شفتُه!

وهكذا وصل جيشُ المشركين إلى رسولِ الله ﷺ..

ودخلت حَلْقتان من حَلْقاتِ (المِغْفَر) في وَ(جْنته) الطاهرة..

ووقع في حفرةٍ من الحُفَر!

وأحاط به (الصناديدُ) من المؤمنين، وأخذوا (يَذُودُون) عنه وصوّبَ الكفارُ النبلَ إلى رسولِ الله ﷺ، واتخذ أبو دُجانةَ من نفسِه **(تُرْسًا)** لرسول الله ﷺ يقَعُ النبلُ في ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كثُرَ النبلُ وأصبح ظهرُه كأنه ظهر قُنْفُذ!

وحين عرف الصحابة أن الرسولَ ﷺ مازال حَيًّا – بعد أن شاع أنه قُتِل! استعادوا ثقتهم بأنفسِهم، واستماتوا في الدفاع عنه، وتجمَّعوا من جديد لمواجهة قريش.. ورأت قريشٌ أن تعود إلى مكة مكتفية بما حققته من نصر على المسلمين!

(1) معانى الكلمات التى بين قوسين:

بلاء: اختبار. تمحيص: ابتلاء وتطهير. خلص: وصل. رباعيته: سنه.

شُج: شق جلد وجهه. كُلمت شفته: جرحت. المغفر: غطاء الرأس زرد ينسج من الدروع، الوجنة: ما ارتفع من الخدَّين. الصَّناديد: جمع صنديد وهو الشريف الشجاع، يذودون: يدافعون. التُّرس: ما كان يتوقَّى به في الحرب.

وفاءٌ وانتماءٌ

ظلّ أبو دُجانةَ على عهدهِ ووعدهِ معَ رسولِ الله ﷺ لم يتخلّف عنه بل كان الفارسَ البطلَ في كلِّ مشاهده حتى انتقل الرسولُ ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو راضٍ عن أبى دجانة كل الرِّضا!

إنه فَخورٌ بتلك الثقة الغالية ثقةِ الرسول ﷺ به يوم أن أعطاه سَيْفَه! وياله من شرفٍ عظيمٍ!

وإن حرصَه على رفع راية الإسلام لَيَقْوَى ويزدادُ بعد أن أدّى الرسولُ ﷺ الرسالة، وبلّغ الأمانةَ وأكمل اللهُ سبحانهُ الدين، وأتمَّ على المسلمين نعمتَه!

وإنه لَيَضَعُ نفسَه في خدمةِ أبى بكرٍ الصديقِ خليفةِ رسولِ الله ﷺ، ويكون رهن إشارتِه، وتحت أمرِه!

لَبّيكَ يا خليفة رسول الله

حين جاءت الأنباء بارتدادِ العربِ.. وعلى رأسهم «بنو حنيفةَ» باليمامَة – سار إليهم المسلمون..

وسالت دماءٌ.. وتناثرت أشلاءٌ.. هنا وهناك.

وأبو دجانةَ كالأسدِ الهائجِ لا يَنسَى أبدًا عهدَه ووعدَه لرسول الله ﷺ.

إن «بنى حنيفةَ» أنصارَ «مُسَيلمةَ الكذابِ» الذى ادّعَى النبوةَ قومٌ شِدادٌ غِلَاظ فيهم قَسوةٌ وعُنْفٌ، ولكنّ أبا دُجَانَةَ لا يعبأ بهم، ويُطيرُ رءوسَهم ذاتَ اليمين، وذاتَ الشمال!

حديقة الموت!

ولم يجد المرتدونَ أمامَهم إلا حديقةً كبيرةً واسعةً تَسَعُ الآلافَ فتحصَّنوا خلفَ أسوارِها، وأغلقوا عليهم بَابَها في وُجُوهِ المسلمين المهاجمين!

وفكر المسلمون.. ماذا يعملون؟!

وكان الحلُّ أن يتخطَّى الأبطالُ أسوارَ الحديقة، ويفتحوا الأبواب المغلقة أمامَ الجيش الإسلاميِّ!

وكان أبو دجانةَ في المقدّمةِ.. مع رفاقٍ له حاولوا فتح أبواب الحديقة!

فوقع قريبا من أحدِ الأبواب.. وأُصيبت قدمُه!

وعلى الرغمِ مما أصابَ قدمَه حين سَقَطَ، فإنه أخذ يَضْرِبُ بسيفِه يَمينًا وشِمالا حتى تفرّق من أحاطوا به من المرتدين واستطاع أن يفتح البابَ أمامَ المسلمين!

وتدفّق المسلمون إلى داخلِ الحديقةِ.. حديقةِ الموت.. وبينما هم يتقدمونَ للقضاء على المرتدين ونبيِّهم المزعوم: «مسيلمةَ الكذابِ» إذا بأبى دُجانةَ تنزفُ جراحُه، وتخوُر قُواه، ويُسْلِم الروحَ إلى بارئها راضيةً مَرضيّة وهو يردد:

أنـا الـذى عاهدَنى خَليلى ونحنُ بالسَّفحِ لَدَى النخيلِ!

لقد أسلم الروحَ بَعدَ أن رأى بشائرَ النصر!

وحقق كلَّ ما كان يتمناه!

لقد فتح لهم البابَ فواصلوا المسيرة حتى تحقق النصرُ وحمى اللهُ الدينَ من فتنةٍ كادت تقضى عليه!

ومازال اسمه يتردد على كل لسان!

4

حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المطَّلب

أسَدُ اللهِ، وأسَدُ رَسُولِهِ!

•• نموذج الرجولة الكاملة!

كانت هوايته الصيدَ.. يخرجُ إليه ليلًا فلا يعودُ إلا مع الضحى!

وكان من عادتِه أن يَمُرَّ بالمسجدِ الحرامِ فيطوفَ بالكعبةِ ثم ينصرفَ إلى دارِه.

وكانت قريشٌ تنظرُ إليه فتجدُ فيه نَموذَجَ الفتى القوىّ صاحبَ المروءة والرُّجُولَة الكاملَة المتفتحة!

•• الخبرُ الذى أشعل النارَ في قلبه!

وقد أقبل ذاتَ يوم من صَيدهِ فتَلْقَاه امرأةٌ في طريقهِ إلى المسجدِ الحرامِ فتخبرُه بخبرٍ أشعلَ النارَ في قلبه!

إن «أبَا جهل» لَقِىَ النبىّ ﷺ فوجّه إليه كلامًا لا يليقُ وأساء إليه!

ولكن النبىَّ ﷺ قد أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبَه فلَمْ يردّ عليه .. ومضَى في طَريقه!

وفكر حمزةُ.. كيف يتمُّ هذا ومحمد ابنُ أخِى بل هو أخِى من الرضاعة.. وقريبى أُمًّا وأَبًا؟!

لا بُدّ من الانتقام من أبى جهل!

نعم، لا بُدّ من تأديبِه حتى لا يعودَ ثانيةً لمثلِ ما فَعَل.

وأسرع حمزةُ إلى المسجدِ الحرامِ حيث يجتمعُ أبو جهلٍ مع غيرِه من عَبَدةِ الأَصْنَامِ.

وفي المسجد.. وأمامَ الملأِ من قريش اتَّجهَ إلى أبى جهل وقام وراءَه، وضربَ رأسَه بقوسِه فشَجَّهُ شجةً بالغة سال منها دَمُه!

ثم وقف مكانه ثابتَ القلب، قَوىَّ العزيمةِ، وأعلن على الملأِ من قُريش إسلامَه، وإيمانَه بما جاء به ابنُ أخيه محمدٌ ﷺ.

ثم قال: هأنَذَا قد أسلمتُ، وأتحدّاكم جميعًا إذا حاولتم رَدِّى عن الإسلام!

وغضب «بنو مخزوم» وحاولوا أن يَبْطِشُوا بحمزةَ دفاعا عن أبى جهلٍ سيدِهم!

ولكن أبا جهل يصيحُ فيهم قائلا: دَعُوا أَبَا عِمارةَ.. لقد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا مُوجِعًا!

•• وكان إسلام حمزةَ عِزةً للمسلمين!

وبإسلام «حمزة» أحسّ المسلمونَ بالعزةِ والقوةِ، فقد أسلمَ مَنْ ينصرُهم، ويدافعُ عنهم، ويقفُ معهم ضدَّ قُرَيش!

ويشاءُ اللهُ أن يكونَ إسلامُ «عمرَ بنِ الخطَاب» مع إسلامِ حمزةَ بشيرَ العزةِ والقوةِ!

فلما أسلم «**عُمرُ**» كبّر «**أهل الدار**» تكبيرةً سمِعها «**أهلُ المسجد**» وقال: يا رسولَ الله، ألَسْنَا على الحق؟

قال: بَلَى!

قال عمرُ: ففيم الاختفاءُ في «**دارِ الأرقم بنِ أبى الأرقم**»؟!

فأخرج الرسول ﷺ المسلمين في صَفَّيْنِ:

عُمَرَ على رأسِ أحدهما.

وحمزة على رأسِ الصفّ الثانى!

حتى دخلوا المسجدَ وهم يقولون:

اللهُ أكبرُ.. جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ إن الباطلَ كان زَهُوقًا!

وبإسلام «عُمرَ» و «حَمزةَ» ظهرَ الإسلامُ.

•• الصراع يشتد ويمتد!

لقد أصبح المسلمون يجلسون حَلْقَاتٍ حولَ البيت الحرام!

وانتصفوا ممن حاولَ إيذاءَهمَ ولم يعودُوا يَخْتَبئُون في دارِ الأرقمِ ابنِ أبى الأرقمِ.. ولكنَّ الصراعَ يشتد بين كفارِ قريشٍ والمسلمين!

ويأذن الرسولُ ﷺ لأصحابه بالهجرةِ من مكةَ إلى المدينةِ، وتحسُّ قريشٌ أن المسلمينَ سوف يزدادون قوةً وخطرًا عليهم..

ونَدِمَت قريشٌ حين تركتْهم يُهاجرون إلى المدينة! ويُهَدّدُون تجارتهم. وطرقَ مواصلاتِهم عند قيامهم بِرِحْلَتَى الشتاءِ والصَّيْفِ!

ولا حَلّ إلا بخُروجِ قريشٍ كُلِّها لِتُؤدِّبَ المسلمين، وتُوقِفَ نشاطَهم! وتقضى عليهم قبل أن يكونَ لهم شأنٌ!

•• اللقاء عند بدر!

وكان اللقاءُ في بدرٍ حيث الْتَقَتْ قُريشٌ مع المسلمين.. الأنصارِ منهم والمهاجرين في السنةِ الثانية للهجرة.

وكانت الهزيمةُ! هزيمةُ كفارِ قُريش! ونصَرَ اللهُ عبادَهُ المؤمنين!

لقد خَسِرَتْ قريشٌ في «غزوةِ بَدْرٍ» سبعين رجلًا، أكثرهم من زعمائِها، وأبناء زُعمائها!

وعادت قريشٌ تُمنّى نفسها بالانتقامِ لقتلاها! إنْ عَاجلًا أو آجلًا. عادوا ليكونَ لهم يومٌ بيومِ بَدْر!

«اللقاءُ الثاني» بين الكفرِ والإيمان!

مر عام على هزيمة قريش!!

كانت النارُ تأكلُ قلوبَ المشركين طلبًا للثأر!

لقد جاءتْ قريشٌ وعيونُها على ثلاثةٍ:

النبيِّ ﷺ، وابنِ عمّهِ عليِّ بن أبى طالب، وعمِّه الحمزة!

ودارت المعركةُ بين سَبعمائة من المسلمين، وثلاثةِ آلاف من رجال الشرك عبدةِ الأصنام عند جبلِ أُحُد على حدود المدينة المنورةِ!

كان حمزةُ صائما، فأقسمَ أن لا يُفْطِرَ حتى يواجِه المشركين بسيفه!

كان شعارُه: أمِت.. أمِت.

ثم انطلق في قلب جيشِ المشركين!

إن المسلمين يُطْلِقُون عليه: أسدَ الله، وأَسدَ رسوله!

لقد أذاق عددًا من مشركى مكة حَتْفَهم، وأنهى حياتَهم!

فلقد أطار رءوسَ الكثيرين بسيفِه في غزوةِ بَدْرٍ، وها هو ذا في «غزوة أحد» يحاولُ القضاءَ على رُءُوسِ الشِّرك وإبادتهم حتى يُريحَ الدنيا من شرورِهم!

لكنهم كانوا قد دبّروا له في الخفاء عندما أَحَسّوا بأنهم لا يستطيعون مواجهته ولا مُنازَلَتَه!

•• محاولة الأخذ بألثأر!

لقد استدعى «**جُبيرُ بنُ مُطْعِم**» عبدَه وَحشيًّا وقال له:

تعلمُ يا وحشيُّ أن محمدًا والملتفّين به قد قتلوا عمى وقتلوا كثيرا من أبنائِنا وزعمائِنَا!

وتستطيع بحربتك هذه التى لا تُخْطِئُ أن تكونَ مَعَنَا في الأخذِ بالثأرِ من محمدٍ وعلىٍّ وحمْزةَ.

فإن قتلتَ محمدًا فلك أعِنّةُ الخَيْل (جمع عِنان وهو اللجام) وإن قتلتَ عَليًّا فلك مائة ناقةٍ سودِ الحدَق (العيون)[1].

وإن قتلت حمزة فأنت حُرٌّ!

وقال وحشى: الحريةُ أغْلى من كُلِّ شيء! أغلى من الخيل والنُّوقِ، إن محمدًا عليه حافظٌ منِ الله!

وعليًّا ما برز إليه أحدٌ إلا قتَله!

وأما «حمزةُ» فرجلٌ شجاعٌ. وأرجو أن أصادِفَه فأقتلَه!

وحينئذ دارت المعركةُ بين سَبْعمائةٍ من المؤمنين المسلمينَ وثلاثةِ آلافٍ من رجالِ الشركِ عبدةِ الأصنام، وأطلق حمزةُ شعارَه:

أمِتْ أمِت!

كان وحشيٌّ له بالمرصادِ يربُضُ خلفَ بعضِ الصخور وهو يحلمُ بالحرِّيّة!

إن بينه وبين الحرية «حربة» يُصَوِّبها فتصيب الهدف!

وإن «هندًا بنتَ عتبةَ» زوجةَ أبى سفيان، وأمَّ معاوية قد وعدته بالمال الكثير والذهب والفضة إن هو ثأر لابنها عتبةَ وأخيها شيبةَ!

وفي المعركة كان حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ محاربًا مُسْتَبْسلا!

كان بطلا من أبطالها..

لقد لقى على يَدَيْه عددٌ من مشركى مكة حتفَهم بينَهم أرطاةُ بن عبدِ شُرَحْبيل، وحاملُ لواء المشركين: عثمانُ بنُ أبى طلحة، وسَبَاعُ ابنِ عبدِ العُزّى.

(1) أغلى النوق.

وبينما هو ينتهى من قتال سَبَاع خرج وحشيٌّ من كَمِينه وصَوَّبَ حربته إلى البطل فأصابت منه مَقْتلًا!

سقط أَسَدُ اللهِ.. وأَسَدُ رَسُولِه!

سقط سيدُ الشهداءِ!

لقد خرج إلى المعركةِ صائما.. وحارب صائما.. واستُشْهِدَ صائما.. ومع سقوطِ الحمزة كانت المعركةُ في صَفِّ المسلمِين!

إلا أن «الرُّماةَ» تركوا أماكنَهم، في حماية ظهر المُسلمين وقد ظنوا أن المعركة قد انتهت..

وجاء وقتُ اقتسامِ الغنائم التى تركها كفارُ قريش وراءهم!!

ونَسُوا أمرَ الرسولِ لهمْ من أجلِ اقتسامِ الغنائم!

وهنا تقدّم عددٌ من فُرسانِ قريشٍ وقاموا بحركة التفافٍ وتطويقٍ لجيش المسلمين!!

فتفرق الجيش الذى كان منتصرًا. واستُشْهِدَ الكثيرون!

ولولا لطفُ اللهِ بالمسلمين لحدث ما لَا تُحمَدُ عُقْبَاهُ!

وبلغ الإعياء بقريشٍ حَدًّا جعلهم يُنهونَ المعركةَ.

وأخذ الرسول ﷺ والمسلمونَ يُحصون شُهَدَاءهم الذين بلغوا واحدا وسبعين شهيدا بينهم أسدُ اللهِ وأَسدُ رسولِه حمزةُ بن عبد المطلب.

•• حزن الرسول ﷺ عليه:

ونظر الرسول ﷺ إلى جُثَّةِ عَمِّهِ فإذا هى قد نُزع كبدُها!!

نزعتها «هند بنتُ عتبةَ» انتقاما لأبيها وأخيها!

حَزِن الرسولُ ﷺ على عمِّه، وعزمَ على أن ينتقمَ له.

وليُمثِّلَنّ بثلاثين رجلًا من قريش إن أمكنَه اللهُ منهم!

وقال المسلمون لما رأوْا ما فَعَلَه المشركون بقتلاهم والتمثيل بجثثِهم: لئن أظفرَنا اللهُ عليهم لنفعَلنّ ولَنَفْعَلَنّ!

ونزلت الآيات لتقول للنبى ﷺ والمسلمين جميعا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 126 - 128]

وصبَر الرسول ﷺ كما أمره ربه حتى انتصر!.. وتم فتح مكة!

وبعد عودة النبىِّ ﷺ إلى مكةَ قال لهم: «**ما تظنون أنِّى فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم!

قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**». (السيرة النبوية لابن هشام).

ودخل وحشىٌّ في الإسلام قبل أن ينتقلَ الرسولُ ﷺ إلى الرفيق الأعلى!

وحَرَصَ على أن يُكَفِّر عما حدث منه، فاشترك في حروبِ المرتدين وصوّب حربته إلى «مسيلمةَ الكذاب» الذى ادَّعى النبوة فخرَّ صريعا! وعندئذ سمِعه الناسُ يقول: قتلت خيرَ الناسِ بعدَ رسول الله، واليوم أقتل شرَّ الناسِ لعل اللهَ يَرْضَى عنى.

5

سَعْدُ بنُ مُعاذٍ «أبو عَمْرو»

الصّحابيُّ الذى اهتزّ عَرْشُ الرحمن لموتِه

•• المدينة بعد يثرب!

كان اسمُ «**المدينة المنورة**» قبل هجرة الرسولِ ﷺ إليها «يثْربَ».

وكانت يَثْربُ تضم الأوسَ والخزرجَ وهما أبناءُ عَمٍّ.

لكن اليهودَ الذين كانوا يُقيمون مَعهم استطاعوا أن يُوقِعُوا بينَهم العداوةَ والبَغْضَاءَ، وأشعلوا نيرانَ الحربِ بينهم حتى مزقتهم الحروب!

واستطاع الرسولُ ﷺ أن يؤلفَ بين قلوبِهم، ويُوَحّدَ صفوفَهم حين هاجرَ إليهم، وسمى بلدهم: «المدينة المنورة» وفى المدينة المنورة ظهرت نماذجُ عُلْيا مِمّن تخرجوا في مدرسة النُّبُوَّةِ، وحملوا لواءَ الإسلام عاليًا خفاقا..

• ظهرت نماذج من الأوس.. • كما ظهرت نماذج من الخزرج..

• وأصبح الجميع أنصارَ الله..

نصروا النبىّ ﷺ وأحسنُوا استقبالَ إخوتِهم من المهاجرين!

كما ظهرت من قبل في «مكةَ» نماذجُ عُلْيَا ممن تخرجوا في مدرسة النبوة، وكان لهم فيما بعد شأنٌ عظيم!

والتقى المهاجرون مع الأنصار فكانوا جميعًا إخوةً متحابّين قامتْ على أكتافهم «**الدولة الإسلامية**» الناشئة!

ونشروا الإسلام فيما حولهم.. نشروه في دولةِ الفُرس.. كما نشروه في دولةِ الرُّوم..

بعد أن طَهَّرُو جزيرَة العرب من الأوثانِ والأصنام.

لقد انتهت على أيدى «**المهاجرين والأنصار**» دوَلَةُ الأصنامِ، وجاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ إن الباطلَ كان زَهُوقًا!

•• نشأة سعد بن معاذ:

وفي «**يثربَ**» نشأ «**سعدُ بن معاذ**» في إحدى عشائر الأوسِ البارزة.

ووصل إلى مَرتبةِ السِّيادةِ لما كان يتمتعُ به من خُلُق رفيع وشهامةٍ ورُجولة!

وإذا هو على رأسِ «**الأَوْسِ**» وصاحبُ الكلمةِ والنفوذ فيهم!

وكانت «**يثربُ**» تُتَابع أخبارَ «**مكةَ**» في مواسمِ الحج.. فقد كان الجميع قبل الإسلام يحجون، ويطوفون بالكعبة.. ويقدمون الهدايا والقرابين لما حولها من الأصنام والأوثان!

ووصلت إلى علمهم في موسم الحج أخبارُ نبيّ قد ظهر يدعو إلى عبادة الله الواحد!

وأنه ينتهز الفرصةَ في موسم الحج فيعرضُ نفسَه على القبائل الوافدة يُحَدِّثُهم برسالتِه.. ويدعوهم إلى الله!

ويتلو عليهم بعض ما نزلَ من القرآنِ الكريم!

وعند «**العَقَبَةِ**» لَقِيَ النبيُّ ﷺ جماعةً من «**الخزرج**» فدعاهم إلى الإيمان باللهِ، وتَرْكِ عبادةِ الأصنام!

فآمن به «**سِتَّةٌ** منهم»، وعادوا إلى يثربَ!

عادوا ليحدِّثوا أهلَها بما سمعوا وما رأَوْا.. حتى لم يبق في «**يثرب**» بيتٌ إلا وقد عرف شيئا عن **الدعوة الجديدة** التى تدعو إلى عبادة الله الواحد الرحمن وترك عبادة الأصنام والأوثان!

•• المبايعة:

ولم يكد موسم الحج يأتى حتى كان هناك اثنا عشَرَ رجلا من «**يثربَ**» قد سارعوا إلى لقاء الرسول ﷺ عند العقبة!

وإن سعادتَهم لَعَظيمة بهذا اللقاء!

وإنهم لَيَمُدُّون أيديَهم يُبايعون النبىّ ﷺ على الإيمان والطاعة في العُسْر واليُسْر!

وعادوا إلى «يثربَ» والإيمانُ يَعْمُر قلوبَهم.. والفرحةُ تغْمُرُ نُفُوسَهم..

عادوا ومعهم أولُ سفير للإسلام في «المدينة».

عادوا ومعهم «مُقْرِئ» يُعَلِّمُهم القرآنَ، ويُفَقِّهُهُم في دين الله!

عادوا ومعهم «مُصْعَبُ بن عُمَير».. وعلى يد «مُصْعَب» أسلم عددٌ من أشراف «الأوس».. كما أسلم عددٌ من أشراف «الخزرج»!

وكان على رأس «الأوس» سيدُهم سعدُ بن مُعاذ!

•• حُلْمٌ كبير يتحقق!

ويوم أن أسلم تحقق حُلْم عظيم له!

لقد عاد إلى قومه، «بنى عَبدِ الأَشْهل» وقال لهم: «كلامُ رِجالِكم ونِسائِكم علىّ حرام حتى تُسْلِمُوا».

فأسلموا جميعًا فكان مِن أعظمِ الناسِ بَرَكةً في الإسلام!

لقد كان اليهودُ في «يثربَ» يحدثونهم أن نبيا جديدا سوف يظهر.. وقد بَشَّرَتْ تَوراتُهم بظهورِه!

وأنهم سوف يَسْبِقُونَهم إلى الإيمان به حتى تكون لهم الغلبةُ عليهم! وكان سعدٌ ورِفاقه من الأوس والخزرج يَتَمَنّوْن أن يسبقوهم إلى الإيمان به!

وها هم أولاء يُصبحون أنصارَ الله!

وها هو ذا الرسولُ الكريم يؤلّفُ بين الأوسِ برئاسة سعد بن معاذ، والخَزْرجِ برئاسةِ سعد بن عُبادَة!

ويؤاخى بين المهاجرين والأنصار.. ويأخذ «سعد بن معاذ» بيد «أبى عُبَيْدة» ليصيرا أخوين في الإسلام.

ويُعطى الرسولُ عهدًا لليهود يُؤَمِّنُهم فيه على أنفسهم، ودينِهم، وأموالِهم!

وساوى رسولُ الله ﷺ يهودَ المدينةِ وما حولَها بالمسلمين في الحقوق، وتحالفَ معهم بالاشتراك في دفاع كُلِّ عدوٍّ يريدُ أن يُغيرَ على المدينة.. وكتبوا بذلك «**معاهدة!**»، وعرف سعد قيمة العمل في الإسلام فأخذ يَعْمَلُ بيديه للحصول على رزقه، وهو السيد المطاع الذي يتمنى الكثيرون خِدمته!

لقد مجّدَ الإسلامُ قيمةَ العملِ وقال النبى ﷺ لأتباعه: «**ما أكلَ أحدٌ طعامًا خيرًا من أن يأكلَ من عمل يده وإن نبيَّ الله داودَ كان يأكلُ من عمل يده**» (رواه البخارى).

ونهض المسلمون نهضة مباركة، فكان فيهم الزارع، والتاجر، والحَدادُ، والخَيّاطُ، والأجيرُ، والحَمّال، وليس فيهم من لا يأكل من عمل يده!

وعندما استقرت أمور المسلمين في المدينة أَذِنَ اللهُ لنبيه برد العدوان، والدفاع عن دين الله، وقتال المعتدين!

•• مكة تستعد لقتال المسلمين في مُهَاجِرِهم!

وذات يوم وردت الأنباءُ أن قريشا تُعِدّ لقتال المسلمين!

فجمع الرسولُ ﷺ أصحابَه ليعرفَ رأيهم، ومدى استعدادهِم!

وتحدث المهاجرون مؤيدين!

وأحبّ الرسولُ ﷺ أن يسمعَ رأىَ الأنصارِ في الخروج لمواجهة قريشٍ ورَدِّ عُدْوانِهم!

ووقف البطل الزعيم «**سعدُ بنُ معاذ**» يتحدث باسم الأنصار في عزة المؤمنِ، وحماسةِ الشُّجعانِ.. وقف بين يدى الرسول ﷺ ليقول: «يارسولَ الله!

قد آمنّا بك، وصَدقْناك، وأعطيناك عُهودَنا فامضِ إلى ما أمرك الله به!

فوالذى بَعَثَك بالحقِّ لئن استعرضتَ بنا البحرَ.. فَخُضْتَه لنخوضَنّه معك!

وما نَكْرهُ أن تلقى العدُوَّ بنا غدًا.. إنَّا لَصُبُرٌ عند الحرب (جمع صَبُور).

صُدُقٌ عند اللقاء (جمع صادق).

لَعَلّ الله يُريكَ مِنّا ما تَقَرُّ به عينُك (تسعد)».

وعرَف الرسول ﷺ أن وراءَهُ رجالًا أشداء أقوياء صادقين صابرين! يحمون حماهم، ويحملون أرواحهم على أكفهم!

فازدادَ سُرورُه ﷺ به، ورضاه عنه، وعن الأنصار، وأقدم على المعركة!

وهنا يحرصُ «**سعد**» على سلامة الرسول ﷺ فيتقدمُ منه. وكله حِرصٌ على سلامةِ الرسول - ويقول له:

يارسولَ الله؛ نَبْنى لك «عريشًا من جَريد»، فتكون فيه، ونتركُ عندك الركائب، ثم نَلْقَى عَدُوَّنَا!

ولقى اقتراحُه موافقةَ الرسولِ ﷺ.

وتقدم المهاجرون وحمل اللواءَ «**مُصْعَبُ بن عُمَير!**».

وتقدم الأنصار وحمل اللواء «**سعدُ بن معاذ!**».

حمل سعد لواء الأنصار نظرا لمكانته، وخبرته الحربية، ومَهارته القيادية، وقوته القتالية!

والتقى الجيشانِ عندَ بَدْرٍ.. ونصَر اللهُ عبادَه المؤمنين!

وعادت قريش إلى مكة مهزومة مكسورة تبكى قتلاها.. وراحت تفكر في معركة قادمة تنتقم فيها لقتلاها!

•• اللقاء الثانى بين الكفر والإيمان!

وكان اللقاءُ في «أُحُد» عند جبلِ أُحُد على حدودِ المدينة!

وانتصر المسلمون في أول الأمر.. وظن الرّماة الذين يَحْمُون ظهورَ المسلمين أن المعركة قد انتهت وأن المعتدينَ قد انهزموا كما انهزموا في «بدر»!

فتركوا مواقعَهم وسارعوا إلى الغنائم لكى يقتسموها!

مع أن النبىَّ ﷺ قد أمرهم بعدمِ تركِ مواقعِهم مهما حدث، حتى يأذن لهم!

ووجد «**خالد بنُ الوليد**» ظهرَ المسلمين أصبح مكشوفا، فأسرع هو ومن معه من فُرْسان الكفار، وأحاطوا بالمسلمين المقاتلين وطوّقوهم!

ووجهوا إليهم ضرباتٍ قاتلة حتى تفرّقَ شملُهم.

وأشيع أن النبى ﷺ قد قُتِلَ!

وكان من بين من أسرعوا إلى نجدةِ الرسولِ ﷺ وفَدَوْه بحياتهم «**سَعْدُ بن معاذ**»!

ونجَّى اللهُ النبىَّ ومن حوله بعد أن تعرضوا لسهام العدو وضرباته!

•• موقف اليهود!

ولقد كان موقف اليهود عجيبا!

غاظهم انتصارُ المسلمين في «بدر»!

وأسعدهم انكسارُ المسلمين في «**أُحُد**»!

وكان ما حدث في أُحُد حافزًا لجماعة من يهودِ المدينة على تجميع أحزاب الكفر على الرسول ﷺ والمسلمين أنصارًا ومهاجرين في معركة تكون القاضية حتى يخلوَ الجوُّ لهم!

•• تحركات مشبوهة في الظلام!

تحرك «**يهود بنى قريظة**» بعد «**أُحُد**» للقاء قريش، وحَرَّضُوهم على حربِ الرسولِ، وعاهدوهم على معونَتِهم ونُصرتهم بكلِّ ما في طاقتهم!

ولم يكتفوا بهذا، بل ذهبوا إلى «غطَفَان» وهم أشداءُ أقوياء وعاهدوهم على مثل ما عاهدوا عليه قريشًا!

وواعدوهم إذا تم النصرُ لهم أن يُعطوهم ما تُخرجه مزارعُ خَيْبَرَ وبساتينُها سنةً كاملةً!

وكانت لحظاتٌ عَصيبةٌ تجمّع فيها أعداءُ النبىّ ﷺ من كل مكان وأحاطوا بمدينته من الخارج.

ويهود بنى قريظة من الداخل من خلف المسلمين!

وإذا المسلمون بين فكَّىْ كمّاشَة!

وعلم الرسولُ ﷺ بخطتهم قبل قدومهم فبادر بحَفْر خَنْدقٍ حولَ المدينة كما أشار عليه سلمانُ الفارسىُّ!

وأنجز المسلمون حفرَه، ومعهم النبىُّ في مدةٍ قياسية، وكانوا يُنشدون:

لئن قَعَدْنَا والنبىُّ يعملُ فذاك مِنَّا العملُ المضَلَّلُ

واتصل الرسوُل ﷺ بغَطفَان يعاهدها أن ترجع ولها ثلث ثمار المدينة!

فلما عرض الأمر على «سَعْدٍ» قال للرسول ﷺ في إباء:

«لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبدُ الله ولا نعرفه!

أفحين أكرمنا اللهُ بالإسلامِ، وهدانا إليه وأعزنا بك وبه نُعطيهم أموالنا؟!

والله ما لنا بهذا من حاجة، ولا نعطيهم إلا السيفَ!!

حتى يحكم الله بيننا وبينهم!

وعندئذ نزل الرسول ﷺ على رأى سعدٍ، وقال له: «**فأنتَ وذاك ياسعدُ**»

وقدمت الأحزاب، وهى تعتقد أنها سوف تَقْتَحِمُ المدينةَ في سُهولة ويُسر، وما هى إلا لحظات حتى يستسلمَ المسلمون!

فإذا بهم يجدون «**الخندق**» يحول دون تَقَدُّمهم ولا تستطيع الخيلُ اقتحامَه!

وحاولوا - أول الأمر- فتح ثَغْرةٍ لكنّ المسلمين سارعوا فأغلقوها في وجوههم.

فلم يجدوا أمامَهم إلا المبارزةَ والتراشُقَ بالسهام!

•• إصابة سعد وأمنية له تتحقق!

ورُمِيَ «سعد بن معاذ» بسهم أصابه إصابة شديدة!

نقل بعدها إلى خيمةٍ بالمسجد لمعالجة جُرْحِهِ!

ومع أن الجُرح كان شديدا فقد تمنى ألا يموتَ قبل أن تَقَرَّ عينُه بالنصر!

وتدخلت العنايةُ الإلهية فهبت ريحٌ شديدةُ البَرْدِ خلعت خِيَامَ العَدُوّ، وقلَبت قُدُورَهم وأوانىَ طعامِهم.. في ليلة شاتية مظلمةٍ فخافوا وحَلّ في قلوبهم الرّعْبُ، وأسرعوا في العودةِ خائفين مَذْعُورين، وكفى اللهُ المؤمنينَ القتال وكان اللهُ قويا عزيزا!

•• عقاب الخيانة!

وكان لابُدّ من تأديبِ «**بنى قريظة**» بعد الخَنْدَق مباشرةً!

لقد نقضوا العهدَ والميثاقَ.. وانضموا إلى الأحزابِ لضَرْب المسلمين من خَلْفِهم!

وحاصرهم الرسولُ ﷺ خمسًا وعشرين ليلة... وكان حصارٌ بحِصارٍ، والبادئ أظلم!

وحين اشتد عليهم الحصارُ، ولا ناصرَ لهم استسلموا ونزلوا على حكم النبيِّ ﷺ.

لقد كان بينهم وبين الأوس عَقْدًا، فهم حلفاء الأوس من قديم، ورأى الرسولُ ﷺ أن يُحَكِّم فيهم أوْسِيًّا.

تُرى مَن يكونُ الأوسيُّ الذى يَرضَى الجميعُ بحكمه؟!

إنه سَعْدُ بنُ مُعاذ.. لكنه يُعانى من جُرحِه.. فجىء به محمولا وبعضُ الأوس يقولون له: يا أبا عمرو، أَحْسِن إلى مَوَاليك!

فأخذ عليهم العهدَ أن يَرْضَوْا بحكمِه!

وتطلعت الأنظارُ إليه.. وإذا هو يقضى فيهم القضاءَ العادِلَ الذى أنهى الوجود اليهودى في المدينة المنورة!

ونجى اللهُ المدينة من فتنةٍ كانت نيرانُها تهدِّدُ المسلمين بين آنٍ وآخر!

وشهد «**سعدُ بنُ معاذ**» نهاية التآمرِ والدَّسائسِ وانتصارَ الإسلام على النّفاق والشَّر، والكفر!

ثم انفجر جُرْحُه بعد أن اطمأن قلبُه.. وحضر الرسول وصاحباه وفاتَه، وسمع بكاءَهُمَا عليه. وجاء في الصحيحين قولُ الرسول ﷺ:

«**اهتزَ العرش لموت سعد بن معاذ**».

فما أعظم سعدًا حيّا وميتًا!!

إنه نموذج من نماذج الإيمان الصادق!

6

عبدُ اللهِ بنُ سَلَام

إلإسرائيلىُّ الذى أصبحَ من

خَوَاصِّ أصحابِ النّبىِّ ﷺ

•• بشارة يهودية!

كان يهودُ المدينةِ يقولون للأوس والخزرج:

إن هناكَ نبيًّا قد اقتربَ موعدُ ظهورهِ كما بشَّرتْ به التَّوراةُ والإنجيل!

ولئن ظهرَ لنَسْبِقَنّكم إليه وتكون لنَا الغلبةُ عليكم!

وأصبح كلٌّ من «**الأوسِ والخَزْرَج**» يَودّون أن يَسْبقوا اليهودَ إلى النبى المنتظر!

وسبق «**الأوسُ والخزرجُ**» إلى لقاءِ النبىّ ﷺ والترحيبِ به عندما بُعِثَ وَدَعَوْهُ إلى «**يثربَ**» هو ومن آمنوا مَعَهُ!

فلما هاجر إليهم استقبلوه أحسنَ استقبالٍ.. الرجالُ منهم.. والنساءُ والأطفالُ، وكانت تحيتهُم له:

طلعَ البَدْرُ علينا ... من ثَنِيَّاتِ الوَداعْ

وَجَبَ الشكرُ علينا ... ما دعا لله داعْ

أيها المبعوث فينا ... جِئتَ بالأمرِ المطاعْ

جِئتَ شرَّفتَ المدينةَ ... مَرْحَبا يا خيرَ دَاعْ

•• غيظٌ وتآمر:

واغتاظَ اليهودُ، وفكروا في سلطانِهم وسَبْق الأوسِ والخزرجِ لهم!

كانت سياسةُ اليهودِ «**فَرِّقْ تَسُدْ**» فكانوا يُفَرِّقُون بين الأوسِ والخزرَج ليكونوا هُمُ السادةَ الأقوياءَ، واليومَ يقفُ المهاجرون إلى جانب إخوتِهم الأنْصار صفًّا واحِدًا بعد أن آخى الرسولُ ﷺ بينَهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا.

وهَا هُمُ اليهودُ يُنْكِرون نُبُوَّةَ محمد ﷺ، ويُخفون الحقائقَ ويكتمونَ ما أنزل اللهُ حِقْدا منهم وحَسَدًا!!

•• وشهد شاهد من أهلها!

لكنَّ واحدًا من كبارِهم خرج عليهم، وأعلن الحقيقة!

وسارعَ إلى تأييدِ النَّبِيِّ ﷺ والاعترافِ به!

لَقَدْ أعلنها مدوية:

• أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ!

• وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله!

•• صدمة لليهود!

وكان هذا الإعلانُ منه صدمةً قويةً لهم، وضربةً كادتْ تَقْضِى عليهم!

لقد أسرعَ مع مَنْ أسْرَعُوا إلى لقاءِ النبيِّ ﷺ.

فلمَّا رآه عرَفَ أن وجهَه ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ!

فكان أولُ شيءٍ سَمِعَه منه قولَه: «**أيُّها الناسُ.. أَفْشُوا السلامَ.. وأطْعِمُوا الطعامَ.. وصِلُوا الأرحامَ** (الأقارب).. **وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام.. تَدْخُلوا الجَنَّةَ بسلَام**»[1]..

•• عبد الله بن سلام يختبر النبى ﷺ ويعترف به!

وكان «عبد الله بنُ سَلَام» من أحْبار[2] اليهودِ وكبار عُلَمَائِهم، فسأل الرسول ﷺ عن ثلاثةِ أشياءَ، لِيَخْتَبِرَ مَدى علمِه ونُبوَّتِه وصِدْقه..

فأجابه الرسولُ ﷺ عنها، وأخبرَه أن جبريلَ - عليه السلام - أخبره بهن!!

وعندئذ أعلنَ إسلَامه ونطق بالشهادتين وقال للرسول ﷺ:

«**أشهد أنْ لا إلهَ إلا الله وأَشهد أنك رسولُ الله!**»

(1) إسناده صحيح وأخرجه أحمد (5/ 451) والترمذي (2487).

(2) جمع حبر وهو العالم.

•• اسمه أولا واسمه أخيرا:

كان اسمهُ «الحُصَيْنَ» فَغَيَّره النبيُّ ﷺ «بعبدِ اللهِ».

إنه شخصية لها وزنها!

فهو من ولَد «يوسفَ بن يعقوبَ» عليهما السلام.

وهو يعرف اليهودَ جيدًا!

فعندما أعلن إسلامَه قال للرسول ﷺ: إن اليهودَ قوم بُهُت[1].

وإنهم إن يَعْلَموا بإسلامى بَهَتُونى. فأرسلْ إليهم، فسَلْهم عنى.. فأرسل الرسولُ ﷺ إليهم، فقال: أيُّ رجُل ابنُ سَلَام فيكم؟!

قالوا: حَبْرُنا (عالمنا)، وابن حَبْرِنا، وعالِمُنا وابنُ عالمنا.

قال: أرأيتم إن أسلمَ تُسْلِمون؟!

قالوا: أعاذهُ اللهُ من ذلك!

وهنا خرج عليهم عبدُ اللهِ فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ اللهِ.

فقالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنَا. وجاهلُنا وابن جاهلنا!

فقال عبد الله: يا رسولَ الله؛ ألم أخبِرك بأنهم قوم بُهت؟!

•• عجيب أمر اليهود:

لقد كان عبدالله سيِّدَهم وابنَ سَيِّدهِم وأعلَمهم وابنَ أعلمهم فإذا هو في غمضةِ عين شرُّهُم وابنُ شرِّهم، وجاهلُهم وابنُ جاهِلهم! لأنه قال الحقيقة! لأنه اعترَفَ بما جاء في «التَّوْرَاةِ» فاستكبروا وغالطوا!

(1) بهت: بضم الباء مع ضم الهاء أو سكونها- جمع بهيت: وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب! والحديث أخرجه البخارى.

وأصبح ابنُ سَلَامٍ من خواصّ أصحابِ رسولِ الله ﷺ ومن المشهودِ لهم بالجنة!

ونزل فيه قولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: 10]

ولقد هدى اللهُ عبدَ الله بنَ سلام إلى الإسلامِ فأسلَمَ وحَسُنَ إسلامُه!

•• الطريق إلى الجنة:

وكان إذا دخل المسجد سَلّم على النبى ﷺ وقال: اللهم افتح لى أبوابَ رَحْمَتِك، وإذا خرج سَلّم على النبى ﷺ وتَعَوّذَ من الشيطان!

ويراه قيسُ بن عُبادةَ فيقول: كنتُ في مسجدِ المدينة فجاء رجلٌ بوجهِهِ أثرٌ من خُشوعٍ فقال القوم: هذا مِن أهلِ الجنة!

فصلى ركعتين، فأوجزَ فيهما (لم يُطِلْ)

فلما خرج اتّبَعْتُه حتى دَخَل منزلَه، فدخلت معه، فحدثتُه.

فلما استأنَس (اطمأن إلىّ) قلت: إنهم قالوا لما دخلتَ المسجدَ: كذا وكذا!!

فقال: سبحانَ الله!

ما ينبغى لأحدٍ أن يقولَ مالَا يَعْلَمُ!

وسَأُحَدّثُك.. إنى رأيتُ رؤيا فقصَصْتُها على النبى ﷺ: رأيت كأنّى في روضةٍ خَضراءَ!

وسطُها عَمُودُ حديد.. أسفلهُ في الأرضِ.. وأعلاهُ في السماءِ.. في أعلاه عُروةٌ (ما يُسْتَمْسَك به وُيعتَصَم).

فقيل لى: اصْعَدْ عليه. فصعدْتُ حتى أخذتُ بالعُروة.

فاستيقظْت وإنها لَفِى يَدى. فلما أصحبتُ؛ أتيتُ الرسولَ ﷺ فقصصتُها عليه، فقال: «**أما الروضةُ؛ فروضةُ الإسلام.. وأما العمودُ فعمودُ الإسلام وأما العُروة فهى العُروَةُ الوُثْقَى. أنت على الإسلام حتى تموت**»[1].

(1) أخرجه البخارى 7/ 98 في المناقب، ومسلم (2484) وأحمد (5/ 452).

قال: وهو عبد الله بن سَلام.

•• رواية أخرى:

وفي رواية رواها الحاكم في المستدرك (3/ 415، 416) وصححه ووافقه الذهبيُّ عن عوفِ بن مالكٍ قال:

انطلقَ نبيُّ اللهِ وأنا مَعَه حتى دخلنا كنيسةَ اليهود، فقال: «**أرُونى يا معشرَ يَهود اثنى عشَر رَجلًا يشهدون أن محمدًا رسولُ الله! يَحُطُّ الله عنكم الغضبَ**» (يرفع غضبه عنكم).

فأَسْكِتُوا!! ثم أعادَ عليهم، فلم يُجِبْه أحدٌ منهم.

قال: «**فوالله لأنا الحاشرُ**[1].. **وأنا العاقِبُ**[2] **وأنا المصْطَفى.. آمنتم أو كَذَّبْتُم**». فلما كاد يخرجُ قالَ رجلٌ: كما أنتَ يا مُحَمَّدُ!

أيُّ رجلٍ تعلمونَنى فيكم؟

قالوا: ما فينا أعلمُ منك. قال: فإنى أشهدُ باللهِ أنهُ نبىّ اللهِ الذى تجدونه في التوراةِ.

فقالوا: كذَبْتَ! فقال رسول الله ﷺ: «**كَذبْتُمْ!**».

قال: فخرجنا ونحن ثلاثة.

وأنزلت: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ... ﴾ [الأحقاف: 10].

هذا هو الرجل الذى قال الحق فأصبح من أهل الجنة!

وهؤلاء هم اليهودُ الذين استكبروا وأنكروا الحق!

فغضب الله عليهم، ولعنهم! وأعدَّ لهمْ عذابًا عظيمًا!!

---

(1) الحاشر: الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون مِلّةِ غيره.

(2) والعاقب: آخر الأنبياء.

7

كَعبُ بنُ مالك

شاعرُ الرسول ﷺ الذى نجّاهُ الصِّدْقُ

•• كعبُ بنُ مالك..

كان ثالثَ ثلاثةٍ هم شعراءُ المسلمينِ.. وشعراءُ الرسولِ ﷺ:

حَسّان. وابنُ رَواحة.. وكَعْب.. كانوا يُواجهون كفارَ قريشٍ بالكلمةِ.. باللسانِ: والكلمةُ أحيانا تكون أخطرَ من السيف!

وقديما قالوا:

جراحاتُ السِّنانِ لها الْتِئَامُ ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللسانُ[1]

كان حَسّانُ يتناولُ أنسابَ قريش!

وكان ابنُ رواحةَ يُعَيِّرهم بالكُفر!

أما كعبٌ فقد كان يُخَوِّفُهم الحربَ!

ويقول ابن سِيرين عن شعره : قال كعبُ بنُ مالكٍ بيتين كانا سببَ إسلام «دَوْس» وهما:

قضيْنَا من تِهامة كُـلَّ وَتْـرٍ وخَيْبَر ثم أغمدنا السيوفا
تُخَبِّـرُنا ولو نطَقت لقالت قَواطِعُهن: دَوْسًـا أو ثقيفا

فلما بلغ ذلك دَوْسًا قالوا:

خُذوا لأنفسكم لا ينزلْ بكم ما نزلَ بثقيف!!

وكان الثلاثُة من شُعراء المدينة!

كانوا نعمَ القُدوة.. فكيف وصلوا إلى هذه المنزلة، ولم يشهدوا مَوْلِدَ الدعوة في مَهْدِها؟!

(1) السِّنان: سن الرمح والسيف وكل ما هو قاطع كالسكين.
ولايلتام: ولا يلتئم فيعود كما كان قبل جرحه.

أما «**كَعْبُ بنُ مالك**» فإنه عندما عَلِمَ بأمر الرسول ﷺ أسرعَ إلى لقائِه في مَوسِمِ الحج عند العَقَبة.

وهُناك وضع يَده فى يدِه وبايَعه على السَّمْع والطاعة.. وعاهدَه أن يحميَه ويُدافعَ عن دينِ الله ما دامت فيه حياة!

وعاد إلى المدينة المنورة ليجاهدَ بلسانِه وسيفهِ في سبيل الله حتى تكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيا..

وكلمةُ الذين كفَروا السُّفْلَى!

ولقد فاته الاشتراكُ في «غزوة بدر».. أُولَى الغزوات.. حيثُ كانَ الخروجُ إليها اختياريًّا!

ولم يُعاتِبِ اللهُ مَن تخلّفَ عنها!

لكنه جُرحَ أحدَ عَشَر جُرحا «**يوم أُحُد**» وتجلّت بطولتُه في الدفاع عن الرسولِ ﷺ حين اجتمع عليه كفارُ مكة!

وعاش ليشهدَ مع رسولِ الله ﷺ جميع غزَواته ما عدا «**غزوةَ تبُوك**»! وهى آخر الغزَوات التى شهدها الرسول ﷺ وأعلن فيها التعبئةَ العامة!

لم يشهد كعبٌ البدايةَ.. وتخلّف في النهاية!

إن «غزوةَ تبوكَ» ليست كَكُلّ الغزواتِ.

لقد كانت خارجَ الحدُودِ.. وكان الحرُّ شديدًا.. والمالُ قليلًا..

كانت هذه الغزوة مع «الروم» الذين كانوا يُهدّدون الدولةَ الإسلامية الناشئة! وجيشُ الروم كثير العَدَدِ والعُدّة!

إن الأمرَ خطيرٌ جدّا.. ولا عُذْرَ لمن يتخلفُ مادام قادرا!!

ومرّ كَعْبٌ بتجربةٍ قاسيةٍ استمرت خمسين يوما!

حتى ضاقت عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ..

وضاقت عليه نفسُه..

قاطعه أصحابُ النبىّ ﷺ.. فلم يَعُدْ يكلِّمُه أحد!!

ولكن اللهَ نجّاهُ بالصِّدْقِ!

فما تلك التجربةُ؟ وكيف نجحَ في ذلك الامتحانِ؟

إن قصتَه رواها الإمامان البخارىُّ ومُسْلمٌ في حديثٍ طويلٍ يحكيها كعبٌ ونذكر لك فقراتٍ منها.. إنه يقولُ:

لم أتخلفْ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةٍ غزاها قطُّ إلا في «**تَبُوكَ**»!

غيرَ أَنى تخلَّفتُ في «**بَدرٍ**» ولم يُعاتبِ اللهُ أحدًا مِمّن تخلّف عنها!

ولقد شهدتُ مع الرسولِ ﷺ «**ليلَة العقبةِ**» وأشهدُ أننى لم اَكُنْ قَطُّ أقوى ولا أيْسَرَ مِنّى حين تخلفتُ عنه في هذه الغزوة!

وحاولتُ أن أتجهّز لألحق بالرسولِ ﷺ والذين مَعَه!

ومرّت أيامٌ وأنا أحاولُ، وأهِمُّ أن أرتحلَ فأُدْرِكَهُمْ..

وليتنى فعلت!

ولكنْ لَمْ يُقَدَّرْ لى ذلك!

وكنتُ إذا خرجتُ في الناسِ لَمْ أجِد في «**المدينة**» إلا الضُّعَفَاءَ.. ضُعفَاءَ الأَجسام.. وضِعافَ الإيمان من المنافقين!

وكنتُ عندما أفكرُ في أن الرسولَ ﷺ سوف يسأل عَنِّى- يزداد حزنى وألمى!

وأخذت أفكرُ، كيف أقابلُ الرسولَ ﷺ؟

وبم أعتذُر له؟ ولا عذرَ لى!

هل ألتمسُ عُذْرًا حتى يُسامِحَنى!

لا.. لا.. لن أكذبَ عليه!

سوف أقولُ الحقيقةَ.. وليكنْ ما يَكُونُ!

إن اللهَ لا تخفَى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء!

ومرت الأيامُ بطيئةً متثاقلةً كأنها أعوامٌ!

فلما بلغنى أن الرسولَ ﷺ قد أقبلَ عرفتُ أنى لا أخرجُ منه بشىء فيه كذب.

فَقرَّرْت أن أَصْدُقَه.. وأقولَ له الحقيقة!

لقد عاد ﷺ من سَفَرِه، وذهب إلى المسجدِ.. وصلى ركعتين ثم جلس إلى الناس!

وجاء «**الذين تَخَلَّفُوا**» وكانوا «**بِضعةً وثمانين رجلا**»..

فأخذوا يعتذرون إليه.. ويَحلِفون له.. فقبل أعذارهم علانية!!

واستغفر لهم.. وبايعهم.. وترك أمرَهم إلى اللهِ فهو وحدَه العالمُ بحالِهم..

إن الرسولَ ﷺ له الظاهرُ.. واللهُ يتولّى السرائر!

ويقول كعب: فتقدمت من مَجْلسِ النبى ﷺ حتى جلستُ بين يديه!

فقال لى: ما خَلّفَك[1] ياكعبُ؟!

فقلت: إنى -واللهِ- لو جلستُ عندَ غيرِك مِنْ أهلِ الدنيا لاستطعتُ أن أخرجَ من سَخَطِه بعُذْر، ومعى لسانى يساعدُنى!

ولكنى أَخشى الله إذا ما حدثتُك حديثًا كاذبًا ترضَى بِه عنى!

أخافُ أن يسخطَ علىَّ ربى!!

وإذا حدثتُك صادقا فإننى أرجو عفوَ ربى!

واللهِ ما كان لى عُذرٌ!

ووالله ما كنتُ قطُّ أقْوَى ولا أيْسرَ منى حين تخلفت عنك!

وهنا قال الرسول ﷺ: «**أما هذا فقد صَدَق!!**

قُم حتى يقضىَ اللهُ فيك».

وتعرض كعبٌ لضغوطٍ كثيرة بعد هذا اللقاء!

فقد ثار رجال من قومِه بنى سَلمةَ، فقالوا له:

واللهِ ما علمناكَ كنتَ أذنبتَ ذنبًا قبل هذا!

أعجزتَ أن تعتذرَ كما اعتذرَ غيرُك مِمَّن تخلفوا؟!

لقد كان يكفيك استغفارُ الرسولِ ﷺ لذنبِك!

وراحوا يُؤنّبونه!

كان هناك رجلان مثله حالُهما كحالِه لا عذرَ لهما!

انتظرا حتى يقضىَ اللهُ فِي أمرهما.. وما أمَرَّ الانتظار!!

(1) ما سبب تخلفك؟!

لقد نهى الرسولُ ﷺ عن كلامِ أولئك الثلاثةِ من بين الذين تخلفوا جميعا!

وراحوا ينتظرون على أحرّ من الجَمْر!!

واجتنبهم الناسُ.. وتغيروا من ناحيتهم!

وأصبحوا كالغرباءِ في مدينتهم!

ويقول كعب:

أما صاحباىَ فقد جلسا في بَيْتَيْهِما!

وأما أنا فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين وأتردّدُ على الأسواقِ.. ولا يُكَلِّمنى أحد!

وكنت آتى رسولَ اللهِ ﷺ وهو في المسجد، وأُلْقىَ عليه السلام، وأقول لنفسى:

هل حرك شَفَتَيه برَدّ السلامِ علىّ أم لا؟!

فإذا أقبلتُ على صلاتِى نظر إلىّ..

فإذا التَفَتُّ أعرضَ عَنِّى!!

وزادت جَفوةُ المسلمين..

وضاقت الدنيا في وَجْهى!!

ولم أجد إلا ابنَ عَمِّى «أبا قَتَادة» وأحبَّ الناس إلىّ.. فتسورتُ جدارَه.. وسألتُه بالله مرة وثانية:

هل تعلم أَنى أُحِبّ اللهَ ورسوله؟! فسكت!!

فأعدْتُ عليه السؤالَ مرة ثالثة، فقال:

اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ!

ففاضت عيناىَ بالدموع، وعدتُ إلى بيتى حَزِينًا كسيرًا دامعَ العينين!

وذات يوم تعرضتُ لامتحانٍ رهيب، وتجربةٍ قاسيةٍ إلى جانب ما أنا فيه!

فبينما أنا أسيرُ في السوقِ إذا بأحد الباعة القادمين من الشام بالطعام لبيْعه بالمدينة - يقول:

من يَدُلُّنِى على كعبِ بنِ مالك؟

وإذا هو يحملُ رسالة من «مَلِك غَسّان» يقول لى فيها:

«أما بعد.. فقد بلغنى أن صاحبَك قد جفاك!

فالحَقْ بنا نُواسِكَ!»

وأخذ كعب الرسالة.. وألقى بها في النار!

وظل ثابتا على عهدهِ ووعدِه يومَ أن بايَعَ الرسولَ ﷺ عند العقبة، ووضعَ يَده في يدِه!

ومضت أربعون ليلة على هذا الحال!

..بعدها صدر الأمرُ الكريمُ إليه أن يبتعدَ عن زوجته المسلمة ولا يقربُها.. ولا تَقْرَبُه، فقال لها:

«الْحَقِى بأهلِك حتى يَقضىَ اللهُ فى أمرِنا»:

ولبث بعدَها عَشْرَ ليالٍ وحيدًا فريدًا ولكنه لم يَفْقدِ الأملَ في رحمةِ الله!

ولم يشكَّ لحظةً في عَفْوِ الله!

لقد كان من **«الصادقين»**.. واللهُ يُحِبُّ الصادقين!

فلما صلّى الفجرَ صُبحَ خمسينَ ليلةً سَمع صوتَ صارخٍ يقول:

يا كعبَ بن مالك؛ أبشِرْ!

ويقول كعب: فخررت ساجدا، وعرفتُ أن الفرج قد جاء!!

فلَمّا جاء البشيرُ إليه خلعَ عليهِ ثَوْبَيْهِ وكساهما إياه بِبُشْرَاه!

واستعار ثوبين، وانطلق إلى رسول الله ﷺ فأقبل عليه الصحابةُ يُهنِّئُونَه، وقال له الرسول ﷺ وهو يَبرُق وجهُه بالسرور:

«أَبْشِر بخير يومٍ مر عليك منذ وَلَدَتْك أُمُّك»

فقال كعب للرسول ﷺ: أمِن عِندك يارسولَ اللهِ؟ أمْ مِن عِندِ اللهِ؟ فقال الرسول ﷺ: «**بل هو من عند الله!!**».

وفرِح كعبٌ كما لم يَفْرَحْ من قَبْلُ.

وأراد أن يتبرعَ بمالِه كُلِّه صدقةً إلى اللهِ ورسولهِ، فقال له الرسول ﷺ:

«أَمْسِكْ عليك بعضَ مالِك فهو خير لك»

وهنا قال كعب: يارسولَ الله: «**إنما نَجَّانى اللهُ بالصدق..وإن من توبتى ألا أُحَدّثَ أحدًا إلا صِدْقًا ما بقيت!**

فوالله ما أعلم أحدًا ابتلاهُ اللهُ في صدقِ الحديث أحسن مما ابتلانى»

وأخذ كعب يردد الآيات التى نزلت في شأنه: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

[التوبة: 117 – 119]

وعاش كعب موضعَ التقديرِ والاحترامِ لأنه كان من الصادقين.

لقد نجح في الاختبار، وخرج منه كما يخرج الذهبُ من النار أصفر بَرَّاقا!!

ويكفيه أن الرسول ﷺ دعاه ذات يوم وقال له: ما نَسِيَ ربُّك – وما كان ربُّك نَسِيّا – بيتًا قُلْتَه!

قال: وما هو يارسولَ الله؟!

قال: أَنشِدْه يا أبا بكر.. فقال:

زَعَمتْ سَخينةُ[1] أَنْ ستَغْلِبُ ربَّها
وَلَيَغْلِبَنّ مُغالبُ الغَلّاب!

فاطمأن قلبُه إلى أن اللهَ لن ينساه! ولن يتخلى عنه!

❊ ❊ ❊ ❊

(1) السخينة: طعام من دقيق وسمن، أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء. وكانت قريش تكثر من أكلها، فعيروها بها ولقبوها «سخينة»، كنز العمال (13/ 518) ونسبه لابن منده وابن عساكر.

8

عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحة

نقيبُ الخَزْرَج، وشاعرُ الرّسولِ،
وثالثُ أُمراءِ مُؤْتَةَ!

•• يا لَهُ من يومٍ عظيم!

ذلك اليومُ الذى ودّعت فيه المدينةُ أبناءَها السبعين في رحلتِهم الميمونةِ من المدينةِ المنورةِ إلى مكةَ المكرمةِ!

كانوا يُمَثّلون الأوسَ والخزرجَ!

هدفُهم لقاءُ الرَّسُولِ ﷺ الذى بُعث في مكة!

وغايتُهم الإيمان باللهِ ورسولِه وترك الأصنامِ التى لا تنفعُ ولا تَضُرّ! وكان اللقاءُ عظيمًا عند العقبةِ..

وامتدّت الأيدى تُبَايعُ الرسول ﷺ ويُبَايِعُهم.. بايَعُوهُ على السمعِ والطَّاعَة!

وعلى حمايتِه مما يحمونَ منه أنفسَهم وأولادَهم..

إن قَدِمَ عليهم وعاش بَيْنَهم!

وطلب منهم الرسولُ ﷺ أن يختارُوا من بينهم «**اثنى عشر نقيبًا**» ليكونوا أمراءَ الناسِ في الدعوةِ إلى الدين الإسلامى عندما يَعُودُونَ إلى مدينتهم!

ووقع اختيارُ بنى الحارثِ بن الخزرجِ على «**عبد الله بن رَواحة**» شاعرِهم وكاتبِهم. وعادت «**طلائعُ النورِ**» إلى المدينةِ لتُمَهدَ الجوَّ لقُدومِ رسولِ الله ﷺ وأصحابه من المهاجرينَ.. ولم يمض إلا قليل حتى وصلت الأنباء إلى المدينةِ أن الرسولَ ﷺ قادمٌ عليهم!

وكان اللقاءُ عظيمًا اشترك فيه الرجالُ والنساءُ والأطفالُ بتحيةٍ جميلةٍ مازال التاريخُ يردِّدُها:

طلَع البدرُ علَيْنَا من ثنِيَّاتِ الوَداعْ

وجَبَ الشكرُ علينا ما دعا لله داع

أيهـــا المـــبـــعـــوثُ فينا جِـــئـــتَ بـــالأمـــر المـــطـــاعْ
جـئـت شرَّفـــــتَ المـدينـة مَـــرْحَـــبًـــا يـــا خـــيرَ داعْ

وازداد «**عبد الله بن رَواحة**» بالرسول ﷺ تَعَلُّقًا ومنه اقترابًا.. وحِرْصًا على طاعته..

ويَسُرُّه اتِّبَاعُه.. وامتثالُ أوامِره.. واجتنابُ نواهيه!

إنه حريصٌ على أن تنالَه رحمةُ الله، ويحلَّ عليه رضاه، والسبيلُ إلى ذلك طاعةُ اللهِ ورسولِه كما قال الله: ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ** ﴾ [آل عمران: 132].

لقد أقبل ذاتَ يوم على المسجدِ والرسولُ ﷺ يتأهبُ لكى يخطبَ في المسلمين.. فما كاد يَسْمعُ النبىَّ ﷺ يقول: «**اجلسوا**» حتى جلسَ مكانَه خارجَ المسجد! امتثالًا لأمرِ الرسولِ ﷺ، وحِرصًا على سماع كُلِّ كَلمةٍ يقولُها!

ويعرفُ الرسولُ ﷺ ما كان منه فيقول له:

«**زادك اللهُ حِرصًا على طواعيةِ اللهِ وطواعية رسوله**» كما رواه البيهقى بسند صحيح.

وكان «عبد الله» مُسْلِمًا مِثَالِيًّا، وهبَ شعرَه للدفاعِ عن دين الله ومُواجَهةِ شعراءِ قُرَيْش!

والشعراءُ آنذاك كانوا - كالصُّحفِ في عصرِنا - صوتَ الشعوبِ ورُوحَها!

لقد كان «**ابن رواحة**» يُعَيِّر قريشًا بالكُفْر، ويتغنى بأمجادِ الإسلام!، وكان لكلماته وقعُ السِّهام على كُفَّارِ قريش!

وكان «**عبدُ اللهِ بنُ روَاحة**» ممن نزل في شأنِهم قرآن يُتْلَى.

فلما نزل قولُه تعالى:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224 – 226][1].

حزن عبدُ الله بنُ رَوَاحةَ وقال:

قد علم اللهُ أَنّى مِنهم!

فأنزل الله عز وجل:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

وعند ذلك اطمأنّتْ نفسُه، وهدأ بالُه، واستراح خاطرُه، وعرف أنه يُجاهِدُ بلسانِه وسيفِه وذلك فضل من الله عَظيم!

ويقول «المرْزُبانى في مُعْجَمِ الشُّعراء»:

«**كان عظيمَ القدرِ في الجاهليةِ والإسلامِ!**».

•• الرسول ﷺ يُعطيه الضوءَ الأخضر!

وجاء في «الطبقات» لابن سعد، و «الاستيعاب» لابن عبد البر؛ أن عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ قال:

«مَرَرتُ في مسجدِ الرسولِ ﷺ، ورسولُ اللهِ جالسٌ، وعنده أُناسٌ من الصحابةِ في ناحيةٍ منه..

فلما رَأَوْنى قالوا:

ياعبدَ اللهِ بنَ رَوَاحة!

فجئت، فقال ﷺ:

(1) أخرجه ابن سعد 3/ 2/ 81 والسيوطى في الدر المنثور 5/ 99.

«**اجلس هَا هُنَا**»

فجلستُ بين يديه، فقال:

«**كيف تقولُ الشِّعْرَ؟!**»

قلتُ: أنظرُ في ذلك، ثم أقولُ!

قال: «**فعليك بالمشركين**».

ولم أكن قد هَيَّأْتُ شَيْئًا!

فنظرتُ، ثم أنشدتُه أبياتًا، منها:

فَـثَـبَّـتَ اللهُ مـا آتـاك مـن حَسَنٍ
تَثْبيتَ مُوسَى، ونَصْرًا كالذى نصروا

قال: فأقبل بوجهه متبسّمًا وقال:

«**وإياك فثبَّتَ اللهُ!**»[1].

•• أول الخارجين للقتال وآخر العائدين منه!

وعندما أَذِنَ اللهُ لنبيِّه ﷺ بقتال الكُفّارِ الذين يُقاتلون المسلمينَ ويُطاردونَهم، ويُحاولون النَّيْلَ منهم - كان عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ أولَ المدافعين عن رسولِ الله ﷺ بسلاحِه كما دافع عنه بلسانِه!

ويقولون:

إنه كان أولَ الخارجين في كُلِّ غزوة وآخرَ العائدين منها!!

(1) أخرجه ابن سعد 3/ 2/ 80/ 81، وابن هشام 2/ 374.

•• مبعوث النبى ﷺ:

ولقد كانت فرحتُه عظيمة حين بعثه الرسولُ ﷺ بشيرًا بنصرِ المسلمين على أعدائهم يومَ بَدْرٍ فيما حول المدينة لِيَعْلَمَ الرائحُ والغادى، ولِيَتَغَنَّوْا بأناشيدِ النصر!

وما قاله من أشعارٍ في هذه المناسبةِ العظيمةِ! حتى يَغيظَ الكفارَ، وأعداءَ الأطهار!

لقد انهارت جَحافلُ الشِّرك يومَ بدر في ساعةٍ من نهارٍ أمام قِلةٍ من المؤمنينَ الأطهار!

ولقد كان يكتبُ للنبى ﷺ، وينالُ ثقتَه فلا عجبَ إذا أثنى عليه قائلا:

«نعم الرجلُ عبدُ الله بنُ رَوَاحة!».

•• مجالس الذِّكْر:

ومنذ أن شرحَ اللهُ صدرَه للإسلام وهو على نور من ربه ينتهزُ الفرصة لذكرِ اللهِ، والثَّناءِ عليه بما هو أهلُه.

كان إذا لقى الرجلَ من أصحابه قال له:

«تعال نُؤْمِن بربِّنا ساعة!»

ولهذا يقول النبى ﷺ:

«رحم اللهُ ابنَ رواحة!

إنه يحب المجالسَ التى تتباهى بها الملائكةُ»[1].

(1) أخرجه أحمد 3/ 265.

لقد كان له وجودُه وحضورُه في أُحُد، والخَنْدق والحُدَيْبِيةَ، وخيبَر، حيث كان في طليعةِ المجاهدين!

•• صاحبُ زِمامِ الناقة!

وفي «عُمْرَة القضاء» حين سُمحِ للمسلمين بدخول مكةَ لأداءِ العُمْرَة التى مُنعوا من أدائها «**يوم بيعة الرضوان**» كان عبد الله بن روَاحَة «**صاحبَ زِمامِ**[1] **الناقة**» ناقةِ الرسول ﷺ!

وما كاد يَلْمَحُ وجوهَ الكفار حتى دوّى لسانه بشعره:

خَلُّوا بَنِى الكُفَّارِ عن سبيله اليوم نَضْرِبْكُم على تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًـا يُزيلُ الهـامَ عن مَقيله ويُذْهِل الخَليلَ عن خَليلِهِ![2]

فقال عُمر: يا بنَ رَواحة...

في حرمِ الله، وبينَ يَدَىْ رسولِ اللهِ تقول الشعر؟!

فقال النبى ﷺ:

«**خَلِّ يا عمر، فهو أسرعُ فيهم من نَضْحِ النَّبْل**».

وفى رواية:

«فو الذى نفسى بيده لكلامُه عليهم أشدُّ من وقع النَّبل»[3].

وهكذا كان شعره أشد من وقعِ النِّبال على الأعداءِ، كما كان قوةً دافعةً إلى العملِ لتحقيق الأمل!

وإثارة روح الحماس والشجاعة عند قتال الأعداء!

(1) الزمام: الحبل الذى يمسك به من يقودها.

(2) الهام: جمع هامة، وهى أعلى الرأس. ومقيله: موضعه.

(3) إسناده قوى، وأخرجه الترمذى (2851) في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر. وصححه ابن حبان.

وهل ننسى يوم الأحزاب عندما كانوا يحفرون الخندق والرسولُ ﷺ ينقلُ معهم الترابَ وهو يردِّدُ أبياتًا لعبد الله بن رواحة ومعه المسلمون:

اللهمَّ لَـوْلَا أنتَ ما اهتدينا ولا تصَدَّقْنا ولا صَلَّينَا
فَـأَنْـزِلَـن سكينةً علينا وثَـبِّـت الأقـدامَ إن لاقينا
إن الأُلَى قـد بَـغَـوْا علَيْنَا وإن أرادوا فتنة أَبَـيْـنَـا

رفع بها صوته[1].

إنه يخاف اللهَ ويخشاهُ.. وحين يخلو لنفسه يبكى، وذات يوم بكى ابنُ رَوَاحةَ وبكت امرأتُه!

فقال: ما لَكِ؟

قالت: بكيْتُ لبكائك.

فقال: إنى قد علمت أنى واردٌ النار[2]!

وما أدرى أناجٍ منها، أم لا؟»

ولقد كان عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ مَوْضعَ ثقةِ الرسولِ ﷺ، فكان يبعثُه لِيَخْرُصَ بينه وبين يهود (أي يَحْزِرُ ما على النخل من الرُّطَب تمرًا، وما على الكَرْمةِ من عنب زَبيبًا).

فلقد روى الزهريُّ عن سليمانَ بن يَسارٍ أن النبيَّ ﷺ كان يبعثُ ابنَ رواحة إلى خيبرَ فيخرُص بينه وبين يهود فجمعوا حُلِيًّا من نِسائهم فقالوا:

هذا لك وخَفِّف عَنّا!

قال: يا معشرَ يهود!

والله إنكم لمن أبغضِ خَلْقِ اللهِ إلىّ..

(1) أخرجه البخارى.

(2) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]

وما ذاك بِحَامِلِى على أن أحيفَ عليكم..

والرِّشوة سُحْتٌ!

فقالوا: بهذا قامت السماءُ والأرض[1]!

•• رجل المهمات الصعبة:

لقد كان ابن رواحة من كُتَّابِ النبى ﷺ واستخلفه النبى ﷺ على المدينة في غزوة «**بَدْر الموعد**»[2] وبعثه النبى ﷺ إلى «أُسَيْرِ بنِ رِزَامٍ» اليَهودِىّ حين علم بأنه يتآمر على الإسلام والمسلمين!

فلقد جاء في السرايا الحربية في العهد النبوى أن أُسَير بن رِزام تولى زعامةَ يهود خَيْبـر!

وكان يجتمع بين غَطَفان ليعقدَ معهم العقودَ والاتفاقياتِ ليكونوا معه حين يشتبكُ مع المسلمين في حربٍ.

وأخذ يُشَجّع اليهودَ على الحرب، ويقول لهم:

والله ما سار محمد إلى أَحدٍ من يهود، ولا بعثَ أحدًا من أصحابِه إلا أصابَ منهم ما أرادَ!

أما أنا فسَأَصْنَعُ معه ما لم يَصْنَعْ غَيْرى!

فقالوا له: وماذا عساك أن تصنَعَ؟

قال: سأجمعُ غَطَفانَ وغيرَها من القبائِل، وأسيرُ إليْهِ في عُقْرِ دارِه، فإنه لم يُغْزَ أحدٌ في عُقْرِ[3] دارِه إلا أدرك منه عَدُوُّهُ بعضَ مَا يُريد.

فقالوا له: نِعْمَ ما رأيتَ!

(1) ابن هشام في السيرة 2/ 354. أحيف عليكم: أميل عن الحق وأظلمكم. والسُّحت: الحرام.

(2) عندما قال أبو سفيان: إن موعدكم بدر، العام المقبل، خرج الرسول ﷺ لميعاد أبى سفيان.

(3) عُقر داره: وسطها.

ووصلت أنباء «أُسير بن رزام» وتهديداتهُ إلى النبى ﷺ فأرسل النبىُّ ﷺ «**عبد اللهِ بنَ رواحة**» على رأس ثلاثة من المسلمين ليعرفوا مدى صحةِ هذهِ الأنباءِ.

كان ذلك في رمضانَ من السنةِ السادسةِ.. فلما وصل ابنُ رَواحةَ مع رفاقِه الثلاثة تسلل في حدائق خَيْبَر وبساتينها وفَرَّق زُملاءَه الثلاثةَ على الحُصونِ يتَسَمَّعُون ما يدور بين اليهود على مدى ثلاثة أيام!

فتأكد لهم أَنّهُ يُضْمِرُ الشَّرّ للمسلمين، ويُعِدّ العُدّةَ لغزوهم.

عاد عبد الله ورفاقُه إلى الرسول ﷺ وأخبروه بما سمعوا وما رأوا، وأَنهُ يُجَهِّزُ الكتائبَ لغزوِ المسلمين في عُقْرِ دارهم!

وهنا رأى الرسولُ ﷺ أن يُرسلَ إلى «**أَسَيْر بن رِزَام**» من يدعُوه إلى القُدومِ على الرسولِ ﷺ لمفاوضته فيما يُريدُه.

وندب الرسولُ ﷺ لتلك المهمة: «**عبدَ الله بنَ رواحة**» ومعه ثلاثون رجلا..

ووصلوا إلى خيبرَ في شَوّالٍ من السنةِ السَّادِسَة.

فلما دخلوا على «**أُسَيْر بن رِزام**» قالوا له: نحن آمنون حتى نعرضَ عليك ما جِئْنَا له؟!

قال: نعم، ولِي منكُمْ مثلُ ذلك.

قالوا له: إن رسولَ الله ﷺ بعثَنَا إليك ليستعملَك على خيبرَ، ويُحسِنَ إليك، فطَمع في ذلك، واستشار بعض اليهود في الخروج إلى المدينة فحالفوه!

ولكنه خرج ومعه ثلاثون رجلًا من اليهود وخرج المسلمون معه!

وكان يُدبّر أمرًا.

محاولة دنيئة!

وعلى بعد سبعة أميال من خيبر عند «القَرْقَرَةِ» ندم أُسَيْر على خروجه معهم، وحاول أن يستلّ سيفَه ليغدِرَ بالمسلمين وكانت عيونُ المسلمين مفتوحةً عليه!

ففطن له عبدُ اللهِ بنُ أُنيس وهو يريد السيف!

فقال له: أَغَدْرٌ يا عَدُوّ الله؟! ثم ضربه بالسيف فقطع رِجلَه!

وضرب أُسَيْر عبد الله بن أُنَيْس على رأسه فشجّه[1] ومال كلُّ رجلٍ من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله إلا رجلا واحدًا أفلت على رجليه!

ولم يُصَبْ من المسلمين أَحَدٌ..

ثم قدموا على النبى ﷺ وأخبروه بما جرى فقال لهم ﷺ: «**قد نجاكم الله من القوم الظالمين**».

وتخلص المسلمون من يهودى طاغية جنى على نفسه بتآمره وغدره. وكان ابن رواحة القائدَ المنفذ!

أمل يتحقق!

ظلّ ابنُ رَوَاحة على عهده ووعدهِ.. يلبى النداء.. ويحقق فيه الأملَ والرجاء!

وكان كل أملِه أن ينالَ الشهادة في كل غزوة غزاها مع رسول الله ﷺ.. ولكن أملَه لم يتحقق إلا أخيرًا في «**غَزْوَةِ مؤتة**» وهى الغزوةُ التى جَهّز الرسولُ ﷺ فيها الأمراءَ الثلاثةَ، وقال: الأميرُ «زيدٌ» فإن أصيبَ فجعفرٌ!

(1) شجه: أحدث به جرحا في رأسه.

فإن أصيبَ فابنُ رَواحة. فلما قُتلا هاله الموقف!

وأحسَّ بشَىء من التردد، وإذا هو يقول لنفسه:

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلنَّهْ طائعةً أو لَا لَـتُـكْـرَهِـنّـهْ

فـطَـالَمـا كـنـتِ مُـطْـمَـئِـنَّـهْ ما لى أراك تكرهينَ الجنَّهْ؟!

وألقى نفسه بين أمواج المقاتلين وظل يقاتل حتى قتل!

ونال الشهادة، وتحقق أملُه!

حرصه على طاعة الله

يقول أبو الدرداء: «إِنْ كُنَّا لنكونُ مع رسولِ اللهِ ﷺ في السفر فى اليومِ الحارّ ما فى القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ[1]».

ولما مات رضي الله عنه تَزَوَّجَ رجلٌ امرأتَه فقال لها:

تَدْرِينَ لِمَ تَزَوَّجْتُك؟ قالت: الله أعلمُ.. قال: لِتُخْبِرينى عن صنيعِ عبدِ اللهِ في بيتِه!

فذَكرَتْ له الكثير مما كان يتمتع به من خُلُق رفيع ثم قالت:

«كان إذا أراد أن يخرجَ من بيته صلى ركعتين!!

وإذا دخل صلى ركعتين!!

لا يَدَعُ ذلك أبدًا»[2] رضى الله عنه وأرضاه!

(1) أخرجه البخارى 1945.

(2) نسبه الحافظ في الإصابة إلى ابن المبارك في الزهد.

9

مُعَاذ بنُ جَبلٍ

أعلمُ الأمةِ بالحلَالِ والحرامِ!

•• النبى المنتظر!

حينَ ورَدَتِ الأنباءُ إلى «**يَثْرِبَ**» أن «**النبيَّ المنتظَر**» قد ظهرَ بمكةَ! حَرَصُوا على لقائه!

ولما عَرَضَ ﷺ نَفْسَه على «**حُجَّاجِ بيت الله**» من «**الأوسِ والخزرجِ**» من أهل «**يثربَ**» وجد منهم استجابةً له!

وكان له مَعَهُمْ لِقاءٌ عند «العَقَبةِ» - عاهدُوهُ على حمايتِهِ مِمّا يَحْمُونَ منه أنفُسَهم وأولادَهم إن هو قَدِمَ إلى يَثْربَ مُهاجرا.. وبعثَ مَعَهُم الفتى المكىّ «**مصْعَبَ بن عُمَير**».

•• الفتى المكىُّ، والفتى الخزرجىُّ:

وأخذ «الداعيةُ المكِّىُّ» «**مُصْعَبُ بنُ عُمَير**» يُهيئُ الأذهانَ والقلوبَ، ويُمَهِّدُ الطريقَ أمامَ الذين هداهُمُ اللهُ!

وكان الفتى الخزرجىّ «**مُعاذُ بن جبل**» من بين الذين أسلموا على يَدَى الفَتَى المكىِّ «**مُصْعَب بنِ عُمَير**»، وذاق حلاوةَ الإيمان ولَهُ ثمانى عشرة سنة!

وذات يوم تحرّك وفدٌ من «الأوسِ والخزرجِ» نحوَ مكةَ المكرمةَ للقاءِ الرسول ﷺ ومُبايعتِه على السمعِ والطاعةِ، وإخبارِه أَنّهم على أتمِّ الاستعدادِ لاستقبالِه وحِمايتِهِ ومعهم الفتى «**معاذ بن جبل!**».

ويالَهُ من شَرَفٍ عظيمٍ حينَ تُصبح مدينتُهم مركزًا للدعوةِ الإسلاميةِ، ومَقَرًّا للرسولِ وأصحابِه! ومنارة للدنيا!

وتُصبح «يثربُ» «**مدينةَ الرسولِ المنوَّرةَ**» به وبالإسلام!

ويُصبِحُ أهلُها أنصارَ اللهِ، ويستقبلون إخوتهم المهاجرين!

ويُصبحُ الجميعُ أنصارًا ومهاجرين - إخوةً متحابِّين!

•• عودة الفتى معاذ:

وعاد الفتَى «مُعاذ بن جبل» إلى «يثربَ» وهو سعيدٌ بهذا اللقاءِ العظيم، وذلك الشرفِ الرفيع الذى أَحْرزَه بانتمائه إلى الإسلام!

عاد وهو يُفَكّرُ في عمل يخدُم به دينَه، ويُسْعد به رسولَه!

لقد أصبحَ عُضْوًا عاملًا في كَتيبةِ الإسلام والإيمان!

وراح يقول: إن الإيمانَ قولٌ وَعَمَلٌ..

ولقد قال: لا إله إلا الله مُحَمّدٌ رسولُ الله، وامتلأ بها قلبهُ؛ فلا بُدَّ من عملٍ!.. عملٍ يمهدُ الطريق أمامَ المهاجرين القادمين من مكة!

إن خيرَ ما يُقَدِّمُه لدينهِ «**تطهيرُ يثربَ من الأصنام والأوثان**».

فكيف يتَسَنّى له ذلك؟!

كوَّنَ «فريقًا» من صغار السِّن، واتَّفقوا فيما بينهم على «تحطيم الأصنام» دون أن يراهم أحدٌ!

•• فريق مُعاذ، والصنم الأكبر!

كان «عمرُو بنُ الجَمُوح» أحدُ سادة بنى سَلَمةَ وأشرافِهم قد اتخذ لنفسِه صَنمًا من أجودِ أنواعِ الخَشَب وأغلاه؛ كما كان يفعلُ أشرافُ مدينتِهم!

ولم يكتفِ بهذا، بل كان يُلْبِسُه أغْلَى أنواعِ الحرير ويُعَطِّرُه كُلّ صباح بأجمل أنواعِ العُطور!

وكان هذا الصنمُ هدفًا لفريقِ «**مُعاذِ بن جبل**» فتوجهوا إليه في ظلامِ الليل، وألقَوْا به في حُفْرةٍ مع القِمامة والأقذارِ!

وحينَ أصبحَ الصباحُ بحث عنه «**عمرو بن الجَموح**» فلم يجده في مكانه!

فأخذ يبحث عنه فى كُلِّ مكان حتى وجدَه غارقا في الأقذارِ في تلك الحفرة!

فأخرجه وغَسَلَه وأزالَ ما عَلِقَ به، وطَيّبَه بأجملِ العُطور ثم أعادَهُ إلى مكانه!

ثم قال: **ياويلَ من تَمْتَد يدُه إليك بالأذى!**

آهِ لو عرفتُ منَ فعلَ بك هذا؟!

فلما جاء المساءُ استسلم الشيخُ لنومٍ عميقٍ بعد أن اطمأن على صَنمِه، وعَوْدَتهِ إليه سالما وسليما.

وانتهز «**معاذٌ وأصدقاؤه**» الفرصةَ وفعلوا به مثل ما فعَلوه في المرة السابقة!

فبحث عنه صاحبُه، وأعاده بعد أن وجده في إحدى الحُفَر!

ثم جاء بسَيْفهِ وعَلّقه في رقبتهِ وقال له:

الآن تستطيع أن تُدافعَ عن نفسِك ما دامَ هذا السيفُ معك!

فلما كانت الليلةُ الثالثةُ أخذ الصِّبْيَةُ السيفَ، وربطوا الصنمَ «بكلبٍ مَيّت» وألْقَوْا بهما بين أقذار إحدى الحُفر!

وبحث الشيخُ عن صَنمه فوجدَه بين الأقذار لا حول له ولا قوة!

•• إلاه الحق ينفع ويضر!

عند ذلك أخذ «**عمرو بن الجَمُوح**» يفكر، ونظر إلى صنمه وقال له: لو كنتَ إلهًا حَقًّا ما رَضِيتَ أن تكون أنتَ والكلبُ في حَبْلٍ واحد!

الآن عرفتُ أنك لا تَنفعُ ولا تَضُرّ!

ثم أسرع إلى «**مُصْعَبِ بن عُمَير**» سفيرِ الرسولِ ﷺ بالمدينة، وجلسَ بَيْن يَديْه، واستمع إليه، وأعلن إسلامَه!

وراح الناسُ يُحطِّمون أصنامَهم، ويُقْبِلون على عبادةِ ربهم.. بعد أن رأوْا ما حدث لكبيرِ أصنامِهم!

والفضل لمعاذ بن جبل وفرقته التى ألّفها لتحطيم الأصنام!

لقد كان مُنْتَهى أملِه أن يُشَرِّفَ الرسولُ ﷺ «المدينة» وهى خالية من الأصنام!

وقد تحقق له ما أراد، وها هو ذا حبيبُه قد أقبل فما كانَ أحسنَ استقبالَهم له!!

•• معاذ يلازم الرسول في المدينة:

ولازم «معاذٌ» رسولَ الله ﷺ بعد أَن شرّفَ المدينةَ.. يحفَظُ أحاديثَه، ويَعرفُ أحكامَ الدين كما علّمَه سيدُ المرسلين، وخاتَمُ النبيين مُحَمَّدٌ ﷺ.

لقد شهد بدرا وله عشرون سنة.

ويحدثنا في الحديث الذى رواه البخارى فيقول: كنت رديفَ[1] النبيِّ ﷺ على حمارٍ يقال له: عُفَيْر..

فقال: «**يا معاذُ!**

هل تدرى حقَّ الله على عبادِهِ؟

وما حقُّ العبادِ على الله؟»

قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم.

قال: «**فإن حقَّ الله على عبادِهِ أن يَعْبدوه، ولا يُشركوا به شيئا، وحقَّ العبادِ على الله أَلَّا يُعَذِّبَ مَن لَا يُشْرِكْ به شيئًا**».

قلت: يا رسولَ اللهِ، ألا أُبَشّر بهِ الناسَ؟

قال: «**لا تُبَشِّرْهم فَيتَّكِلُوا**»

وكان معاذ صاحب ذاكرة لاقطة!!

كان كالإسفنجة يمْتَص الآراء والأفكار من كُلِّ نبع!

فلا عجبَ إذا أصبح مَرجعًا لمن يريدُ أن يأخُذَ القرآنَ ويتعَلَّمَه!

فقد جاء في الحديث؛ قال رسولُ الله ﷺ:

«**خُذُوا القرآنَ من أربعة:**

1 – من ابن مَسْعودٍ..

2 – وأُبَيِّ بنِ كَعْب..

(1) رديف النبى ﷺ: أركب خلفه.

3 - **ومُعاذِ بن جبل..**

4 - **وسالم مَوْلَى أبى حذيفة»** (أخرجه البخارى 4999).

وكفى بشهادة النبى ﷺ له عِزًّا وفخرا!!

ففى الحديث الذى «أخرجه الإمام أحمد»:

- **أرحَمُ أُمَّتِى بأُمَّتى: «أبو بكر»..**
- **وأشَدُّها في دينِ الله: «عُمَرُ»..**
- **وأصْدقُها حَيَاءً: «عُثمانُ»..**
- **وأعلمهم بالحلالِ والحرام: «مُعاذٌ»..**
- **وأَفْرَضُهم: «زيدٌ»** (أعملهم بعلم الفرائض والمواريث وتقسيم التركات).
- **ولكل أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمة: «أبو عُبَيْدَة».**
- ومما يدل على عظيم مكانته قولُ عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الحديث الذى رواه أبو نعيم في الحِلية:

لو أدركت مُعاذًا ثم ولّيتُه (جعلته واليا وخليفة).

ثم لقيتُ ربى، فقال:

مَنِ استخلفتَ على أمةِ محمدٍ؟ لقلتُ:

سمعتُ نبيَّك وعبدَك يقول:

«يأتى معاذُ بنُ جبلٍ بين يَدَيِ العلماءِ».

- ولهذه المكانة العلمية اختاره الرسول ﷺ قاضيا من قِبَلِهِ على اليمن.

ويسأله النبى ﷺ قبل تَوَجُّهِهِ إلى اليمن قائلا:

«بم تقضى يا معاذ؟».

قال: أقضى بكتاب الله.

قال: **«فإن لم تَجِدْه في كتاب الله؟!»**.

قال: أقضى بسنة رسول الله.

قال: **«فإنْ لم تجد في سنة رسول الله؟»**.

قال: أجتهد رأيى ولا آلو (لا أُقصّر).

فضرب صدرى وقال:

الحمدُ لله الذى وفّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضى رسولَ الله[1]».

• ويحكى معاذ ما حدث في لقاء بينه وبين الرسول ﷺ فيقول:

لقينى النبى ﷺ، فقال: **«يا معاذ، إنى لأحبك في الله»**.

قلت: وأنا والله يارسول الله أحبك في الله!

قال: **«أفلا أعلمك كلمات تقولهن دُبُرَ (عقب) كل صلاة:**

ربِّ أَعِنِّى على ذكرِك وشكرِك وحُسْنِ عبادتِك[2]».

• ويسأله أحدهم قائلا: يا صحابة رسول الله، عِظْنى وعَلّمنى..

فيقول له:

وهل أنت مُطيعى إذا علمتُك؟

فيقول: أجَلْ (نعم) كُلّ الطاعة!

فيقول له مُعَاذٌ: «صُمْ، وأفْطِرْ.. وصَلِّ، ونَمْ.. واكتسِبْ، ولا تأثَمْ (لا تقع في الإثم والذنب).

ولا تموتَنّ إلا مُسْلِمًا.

وإياكَ ودَعْوَةَ المظلوم».

(1) أخرجه أحمد (5/ 236).

(2) أخرجه أبو داود (1522).

•• مكانة عظيمة!

بالعلم صار معاذ ذا مكانة مرموقة!!

• فحينما فتح الرسولُ ﷺ مكةَ أحبَّ بلاد اللهِ إلى الله، وإلى رسوله وجدَ أن أهلَها في حاجةٍ إلى من يُفَقِّهُمُم في دينهم ويُعَلِّمهم مبادئَ الإسلامِ وآدابَه، فكان مُعاذ جديرًا بهذه المهمة!

• ولما جاءت وفود اليمن إلى رسول الله ﷺ معلنةً إسلامها.. أرسل معهم معاذَ بنَ جبل أميرا وقاضيا ومعلما!

وخرج رسول الله ﷺ يُوَصّيه، ومعاذٌ راكبٌ، ورسولُ الله ﷺ يمشى تحت راحلتِه، فلما فرغ، قال:

يا مُعاذُ: إنك عَسَى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى!!

فبكى معاذٌ جَشَعًا لفراقِ رسولِ الله! (جزَعًا لفراق إلْفه).

قال: «**لا تبك يا معاذ**، – أو «**إن البكاءَ من الشيطان**»[1].

• وظل معاذ بن جبل موضعَ التقدير والاحترام من صاحِبَى الرسول ﷺ ففى عهد الفاروق أرسل الوالى «**يزيد بن أبى سفيان**» يطلب من الخليفة أن يُعِينَه بمن يُعَلِّمُ أهلَ الشام القرآنَ ويُفَقِّهُهُم في دين الله!

فوقع الاختيارُ على ثلاثةٍ هم في القِمَّةِ:

(1) هو فى المسند 5/ 235.

معاذُ بنُ جَبل، وعُبادةُ بن الصامت، وأبو الدرداء.

توجه عُبادةُ إلى «حِمصَ»..

وذهب أبو الدرداء إلى «دمشق».

أما مُعاذ فقد توجه إلى «فِلَسْطين!» وهناك أُصيب معاذٌ بالطّاعون! فسَلّم الروحَ إلى بارئها وهو يقول:

- مَرْحبًا بالموتِ مَرْحَبًا.
- زائرٌ جاءَ بعد غياب.
- وحبيبٌ وفَدَ على شَوْق!

ثم لَقِيَ ربّه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة!

ومازال الناسُ حتى عصرِنا يترحَّمون عليه ويقولون:

يرحمه الله!

لقد كان أعلمَ الأمة بالحلال والحرام.

وأحسنَهم وجْهًا وخُلُقًا..

وأكرمَهم يَدًا..

وأحبَّهم إلى رسول الله ﷺ.

وأراك تقول: حقًّا، لقد كان نعمَ الفتى!

10

طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ اللهِ

الشهيدُ الحَيّ

•• لكل منا اسمٌ ولطلحةَ عدةُ أسماء!

سماه أبوه «طلحة»، والطلحةُ: شجرة الموز، وكان طلحةُ - بحقّ- شجرةً مُثْمِرَةً مِعطاءةً.. يَسْتَظِلُّ المسلمون بِظِلِّها، ويَنْعَمُون بخيْرها!

وسماهُ الرسولُ ﷺ بعد أن أسلمَ في مواقفَ عِدّة: طلحةَ الفيّاضَ، وطلحةَ الخير، وطلحةَ الجود، وطلحة الطَّلحَاتِ.

وإن دلّ تعدُّدُ الأسماء على شيء فإنما يدلُّ على..

عُلّو المكانة، وسُمُوِّ المنزلة!

وليس أدلّ على ذلك من أَنه كان:

• أحدَ الثمانيةِ الذين سبقوا إلى الإسلامِ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: 10، 11].

• وأحدَ الخمسةِ الذين أسلموا على يدِ أبى بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• وأحدَ العشرةِ المبَشرين بالجنة.

• وأحدَ السِّتة الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راضٍ!!

•• قصة إسلامه:

وقصةُ إسلامهِ قصةٌ عجيبة!

يقول طلحةُ:

حضرت بسوق بُصْرَى[1].

(1) مدينة بالشام وهى الآن بسورية - محافظة حوان.

فإذا راهب[1] فى صَوْمَعَةٍ يقولُ:

سَلُوا أهلَ هذَا الموسِم: أفِيهِمْ أحدٌ من الحَرَمِ[2]؟

قال طلحةُ: نعم، أنا.

قال الراهبُ:

هَل ظهرَ فيكم أحمدُ؟

قال طلحةُ: قلتُ:

ومن أحمدُ؟

قال الراهبُ: ابنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطَّلب..

هذا شهرُه الذى يَخْرُج فيه..

وهو آخرُ الأنبياء.

ومَخْرَجُه من الحَرَمِ!

ومُهاجَرُهُ إلى نخل.. (مكان هجرته).

فإياك أن تُسبَق إليه!

يقول طلحةُ:

فوقَعَ فى قلبى ما قال!

فخرجتُ مسرعًا حتى قَدِمتُ من الشامِ إلى مكةَ..

فقلت: هل كان من حَدَثٍ؟

(1) رجل الدين من النصارى.

(2) حرم مكة.

قالوا: نعم.. محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ الأمينُ تَنَبَّأَ.. «أعلن النبوة».

وقد تَبعه ابنُ أبى قُحافَة (أبو بكر).

قال: فخرجتُ، حتى دخلتُ على أبى بكرٍ، فقلتُ:

أتَبِعْتَ هذا الرجلَ؟!

قال: نعم، فانطَلِقْ إليه، فاتَّبِعْه، فإنه يدعو إلى الحَقِّ!

فدخل طلحةُ على رسولِ الله ﷺ وأخبرَه بما قال الراهبُ، وأعلن إسلامَه على يَديْهِ، فسُرّ الرسولُ بذلك سُرورًا عظيما.

• • القرينان:

أبو بكر من قبيلةِ تَيْمٍ..

وطلحةُ - أيضا - من قبيلةِ تَيْم، فهو ابن عمه!

وإسلامُهما مَعًا يَغيظ كُفارَ قريشٍ، فرُبَّما تتابعَ أبناءُ تَيْم، وأسلموا جميعًا وراءَ أبى بكرٍ وطلحة!

ولهذا أخذهما «**نَوْفَلُ بنُ خُوَيْلد**» حين رآهما معًا وشدّهما في حبلٍ واحد حتى يَرْجِعَا عن إسلامهما ولهذا أُطْلِق عليهما «**القرينان**»!

وكم كانت دهشةُ كُفارِ قريش حين رَأَوْهُما يَقِفَان إلى جوارِ الكعبةِ يُصَليان، وقد فُكّ وَثَاقُهمَا، وحُلَّ رِبَاطُهُمَا!

لقد كان «**نوفلُ بنُ خَوَيْلد**» طاغيةً جَبّارًا، وكانوا يُطلقون عليه:

«**أسدَ قُرَيْش**».

لقد سَلَّطَ عليهما سُفهاءَ مكةَ ليُذيقوهما ما استطاعوا من ألوانِ العذابِ، حتى يَرْجِعَا إلى عِبَادةِ الأَصنامِ!

ولكنَّ طلحةَ وأبا بكر كانت عزيمتُهما من حديد!

وإرادتُهما ثابتةً كالجِبالِ الراسيات!

لقد امتلأ قلبُهما بالإيمان..

وتخلّصَا من عبادَةِ الأصنامِ والأوثانِ إلى عبادة الخالقِ الرحمنِ!

إنهما حقًّا قرينان، امتلأ قلبُهما بالإيمانِ. وظلّ طلحةُ على عهدِه ووعدِه حتى كانت الهجرةُ!

•• المهاجر الأمين:

هاجر الرسولُ ﷺ وَمَعَهُ أبو بكر وحدَهُما، وتركا أهلَهما حتى يَتِمَّ إعدادُ رِحلةٍ آمنةٍ من مكةَ إلى المدينةِ.

وبعثَ الرسولُ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ، وأبا رافع إلى مكةَ وبعث أبو بكرٍ معهما عبدَ اللهِ بنَ أُرَيْقط.

وكتب إلى عبدِ اللهِ بن أبى بكرٍ أن يحملَ أهلَه:

أُمَّ رومانَ، وعائشةَ، وأسماءَ.

وإذا بطلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ يُريدُ الهجرةَ في ذاك الوقت!

فترافق مع زيد بن حارثةَ إلى المدينةِ ومعهما: فاطمةُ وأمُّ كلثومٍ ابنتا الرسول ﷺ، وزوجتُه: أم المؤمنين: «سودةُ بنتُ زَمْعةَ» وأسامةُ بن زيد، وأمُّه أُمُّ أيمنَ- رضى الله عنهم جميعًا:

أما «رقيةُ» بنتُ الرسولِ ﷺ فقد هاجرت مع زوجها عُثْمانَ.

وأما «زينبُ» فقد ظلت في بيتِ خالتِها هالةَ على أمل أن يُسْلِمَ زوجُها، فيُهاجرا مَعًا.

وفى هذه الرحلةِ الكريمة كان طلحةُ الحارسَ الأمينَ لآل البيت حتى يصلَ ركبُهم بسلامٍ إلى المدينةِ المنورةِ دونَ أن تمتَدَّ يَدٌ إليهم بالأذى!

ويالَهُ من شرفٍ عظيمٍ ذلك الذى قام به طلحةُ في أول هجرته!

وفى المدينة كان طلحةُ في خدمةِ النبىّ ﷺ والذين آمنوا معه!

..لقد مر الرسول ﷺ على ماءٍ مالح يُقالُ له: «بيسان» فقال:

هو «**نعمان**» **وهو** «**طيب**» فاشتراه طلحةُ، ثم تصدَّقَ به على المسلمين!

فقال الرسول ﷺ لطلحة: «**ما أنت يا طلحةُ إلا فَيَّاض**».

وأصبح لقبُه بين الأنصار والمهاجرين «طلحةَ الفياض».

إن طلحة واحدٌ مِمّن يُوزَن الرجلُ منهم بألف!

عَمّ جُودُه المسلمينَ جميعا..

كان يتَّجِرُ ويُعطى.. ويتصدّقُ.. ويُقَدّمُ خدماتِه من ذاتِ نفسه دون أن يسألَه أحدٌ فما بالُ تجار اليوم يتخاذلون عن تقديم خدماتهم؟!

سَخّر تجارتَه في سبيل اللهِ.. فلقد كان المسلمون في أول عهدهم بالمدينةِ في حاجة شديدةٍ إلى المال.. لبناء حياتِهم الجديدةِ، ولمواجَهَةِ أعدائِهم بعد أن أَذِنَ اللهُ لنبيه بقتال الذين يُقاتلونهم.. والمالُ عصب الحياة!

وقامت «غزوة بدر» ولم يَشْهدْها!

فقد كان مكلَّفا من قِبَلِ الرسول ﷺ بعملٍ لصالح المسلمين!

ومع هذا جعل الرسولُ ﷺ له سَهْمًا كأولئك الذين شهدوا المعركة وقال له: «**لك سَهمُك ياطلحةُ**».

قال طلحة: وأَجْرِى يا رسولَ الله؟!

قال الرسول ﷺ: «**وأجرُك**».

•• الشهيد الحى!

ويتساءل الكثيرُ مِنّا عن سِرِّ هذا اللقبِ الذى أطلقَه عليه النبىُّ ﷺ في غزوةِ أُحُدٍ حين أقبلتْ قريشٌ تريدُ الانتقامَ لِقَتْلَاها في «بدر».

وأمر الرسول ﷺ الرُّماةَ ألا يبرحوا مكانهم من وراء الجيش مهما حدث!

ولكن الرُّماة عندما شاهدوا انتصارَ الجيشِ الإسلامىّ في أولِ الغَزْوَة ظنوا أن جيشَ الكُفارِ سوف يَرْحَلُ كما حدث في بدر، وتركوا أماكنَهم وسارعوا إلى الغنائم!

وانتهز فرسانُ المشركين الفرصةَ، وأحاطوا بالمسلمين وانتقموا لأنفسِهم منهم شَرّ انتقام! ويروى جابر بن عبد الله ما حدث فيقول:

لما كان يومُ أُحُد، وولّى الناسُ، كان رسول الله ﷺ فى اثنى عَشَرَ رجلا، منهم طلحة!

فأدركهم المشركون، فقال النبى ﷺ «**من للقوم؟**».

قال طلحة: أنا. قال النبى ﷺ : «**كما أنت**».

فقال رجل: أنا.

قال ﷺ: «**أَنْتَ**».

فقاتلَ حتى قُتِلَ.

ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «مَن لَهُمْ؟».

قال طلحةُ: أَنَا.

قال ﷺ: «كما أَنْتَ».

فقال رجلٌ من الأنصارِ: أَنا.

قال: «**أَنْتَ**».

فقاتل حتى قُتِلَ.

فلم يزل كذلك حتى بقىَ مع نَبِى اللهِ «طَلْحَةُ!».

فقال: «**مَن للقومِ؟**».

قال طلحةُ: أنا.

فقاتل طلحةُ قتالَ الأحدَ عشَر حتى قُطِعَت أصابِعُهُ ثم ردّ اللهُ المشركين».

(أخرجه النسائى عن جابر).

وقد وصف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد فقال:

كان يومًا كلّه لطلحة!!

• • تقدير النبى ﷺ لطلحة وثناؤه عليه:

• يقول الرسول ﷺ: «**مَن سَرّه أن ينظرَ إلى رجلٍ يمشى على الأرضِ قد قَضَى نَحْبَهُ**[1] **فلْيَنْظُرْ إلى طَلْحَةَ**».

(1) قضى نحبه: مات، واستشهد في سبيل الله، ووفى ما عليه.

• ويقول ﷺ «**طلحةُ والزُّبَيرُ جاراى في الجنَّةِ**» (الترمذى).

• وأخرجَ مسلم أن رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراءَ هو وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعلىٌّ، وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت صخرة!

فقال رسول الله ﷺ «**اهْدأْ فما عليك إلا نبىٌّ، أو صِدِّيقٌ، أو شَهِيدٌ**»

هذا هو طلحة بن عبيد الله.. سمَّاه النبى ﷺ يوم أحد «طلحة الخير».

وفى غزوة ذى العشيرة «طلحة الفياض».

وفي يوم خيبر «طلحةَ الجود».

رضى الله عنه وأرضاه، لقد أتاه سهم «يوم الجمل» فسال دمه حتى مات وله أربع وستون سنة!

لقد مات طلحة، وترك أربَع نِسوة، عند النبى ﷺ أختُ كلِّ واحدةٍ منهن:

1 - «**أم كُلثوم بنت أبى بكر**» أخت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها!

2 - «**حَمْنة بنت جحش**»، أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها!

3 - «**الفارعة بنت أبى سفيان**»، أخت أم المؤمنين حبيبة رضى الله عنها!

4 - «**رقية بنت أبى أمية**»، أخت أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها!

لقد كان طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة بما قدمه للإسلام والمسلمين.

إنه نَموذَجٌ يُحْتَذَى؛ وكفى!!

شخصيات الكتاب

الشخصية	الصفحة
1 – أبو هريرة الدوسى	3
2 – ثابت بن قيس	13
3 – أبو دجانة الأنصارى	21
4 – حمزة بن عبد المطلب	31
5 – سعد بن معاذ	39
6 – عبد الله بن سلام	49
7 – كعب بن مالك	55
8 – عبد الله بن رواحة	65
9 – معاذ بن جبل	77
10 – طلحة بن عبيد الله	87